الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

محاضرات في مادة:

مصادر تاريخ الجزائر 1519م-1830م

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر
تخصص تاريخ الجزائر الحديث 1519م - 1830م
السداسي الأول

إعداد الدكتورة: آمال معوشي

السنة الجامعية: 2024-2025م./1446-1447هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

يهتم مقياس مصادر تاريخ الجزائر الحديث 1519م-1830م الموجه لطلبة السنة أولى ماستر تاريخ الجزائر الحديث السداسي الأول، بتسليط الضوء على أنواع مصادر تاريخ الجزائر الحديث من 1519م إلى 1830م، ومن خلال محاوره يمكن للطالب التعرف بشكل دقيق على أهمية المصادر المحلية والأجنبية، وأنواعها، وكيفية التعامل معها، وقيمتها العلمية والتاريخية، وأماكن وجودها، وما تقدمه هذه المصادر على اختلاف أنواعها من معلومات وما يوجه لها من نقد، وبهذا يستطيع أن يحدد منبع معلوماته، كما يستطيع تحصين نفسه من الأفكار المغلوطة التي قد تصادفه في المصادر الأجنبية خاصة كنظرة التعالي، والعنصرية، والتشويه المتعمد والمقصود للحكام العثمانيين والإسلام والمجتمع الجزائري.

وانطلاقا من محاضرات المقياس سيقف الطالب على المعنى الدقيق للمصدر وأهميته في البحث التاريخي، كما سيتعرف على: أنواع المصادر، معنى الأرشيف وأهميته، أنواع مصادر تاريخ الجزائر المحلية والأجنبية، وأماكن وجودها، مع دراسة مصدر معين وقد وقع اختيارنا على المصدر الأجنبي الثري بالمعلومات التاريخية مذكرات وليام شالر للقنصل الأمريكي وليام شالر، والذي قام بترجمته والتعليق عليه إسماعيل العربي، وركزنا من خلاله على جانب واحد هو العلاقات الجزائرية الأمريكية.

– نسعى في هذه المطبوعة البيداغوجية إلى تحقيق عدة أهداف:

–البناء المعرفي والنفسي للطالب، فالطالب هنا ليس بصدد دراسة أحداث تاريخية معينة، بل هو بصدد التعرف عموما على مصادر تاريخ الجزائر الحديث، وسيقف على تنوعها من حيث النوع واللغة، كما سيقف على أماكن وجودها داخل الوطن وخارجه، لذا سيستعد لخوض غمار البحث في تاريخ الجزائر الحديث من خلال التسلح باللغات الأجنبية، وشد الرحلة لطلب العلم خاصة وأن عددا من المصادر موجود خارج الجزائر.

-نهدف إلى التأكيد على أهمية تاريخ الجزائر الحديث، ووجوب تحلي الباحثين في هذا الميدان بالحذر والجدية، والسعي لكتابته بهمّة واجتهاد، فهو يحتاج إلى بحث معمق لإزالة الغبار عنه، وكشف بعض تفاصيله والقضاء على ما ألصق به من طرف الغربيين خاصة، من تهم وتشويه متعمد ومغالطات تاريخية لكل ما هو عثماني وجزائري.

- سنوضح للطلبة أهمية المصادر خاصة الأرشيف، وننبههم للنقائص الموجودة في المصادر المحلية، وللنقد الموجه للمصادر الأجنبية على وجه الخصوص، ليتحلوا بروح البحث والنقد في نفس الوقت، وبذلك يمكنهم التمييز بين الحقيقة التاريخية وبين الذاتية، وتحصين أنفسهم من المغالطات التاريخية، كما ننبههم إلى وجوب مقارنة المصادر بين بعضها البعض، والانتباه إلى أهمية الأرشيف بالدرجة الأولى ثم المصادر التي تم تأليفها من طرف مختلف الكتاب.

-سنسعى من خلال هذه المطبوعة إلى التأكيد على أهمية المصادر بصورة عامة ومصادر تاريخ الجزائر بصورة خاصة، وبث روح المحبة والاحترام لهذه الحقبة التاريخية المهمة من تاريخ الجزائر، التي وصفت جورا من المدرسة الاستعمارية وأذنابها بأنها فترة "استعمار عثماني"وهو دون شك تشويه متعمد لا أساس له من الصحة.

وظهرت العناوين الرئيسة للمحاضرات كما حددها البرنامج الوزاري المعمول به كما يلي:

المحاضرة الأولى: تعريف المصدر والمرجع وأنواعهما

المحاضرة الثانية: أهمية المصادر والمراجع في دراسة التاريخ

المحاضرة الثالثة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية: المصادر المادية واللامادية

المحاضرة الرابعة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية: المصادر المكتوبة أو المدونة(الأرشيف)

المحاضرة الخامسة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية: المصادر المكتوبة أو المدونة (المصادر المحلية)

المحاضرة السادسة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية: المصادر المكتوبة أو المدونة(المصادر الأجنبية)

المحاضرة السابعة: تحديد أماكن وجود مصادر تاريخ الجزائر الحديث

المحاضرة الثامنة: دراسة بعض مصادر تاريخ الجزائر الحديث وتحليلها وتقدها: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م أنموذجا

وقد تم دعم هذه العناوين الرئيسة بعناوين فرعية لها علاقة وطيدة بالمقياس ومفرداته، من أجل توسيع مدارك الطالب ومعارفه، وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد للجميع.

المحاضرة الأولى: تعريف المصدر والمرجع وأنواعهما

يحتاج الباحث في التاريخ بصفة عامة الرجوع للمصادر والمراجع لإنجاز بحثه، حيث تشكل المصادر والمراجع حجر الأساس للباحثين، وبانعدامها لا يمكن الخوض في الكتابة التاريخية ودراسة أحداث الماضي فما معنى المصدر والمرجع وما هي أهميتهما بصورة دقيقة في دراسة التاريخ؟

1-التعريف اللغوي للمصدر: ورد في القاموس المحيط بخصوص تعريف المصدر تحت مادة (ص د ر)معاني وصيغ كثيرة، ومن بينها "الصدر أعلى مقدم كل شيء وأوله، وكل ما يواجهك"، وتعني "المكان الذي يرجع إليه لأعلى كل شيء وأوله."وبالتالي يعتبر المصدر ما يتم الرجوع إليه الذي يضم الأفكار الأصلية، أو الأساسية، أو الأولية.[1]وبالتالي المصدر في اللغة هو الموضع أو المكان الذي يمد بالمعلومات الأصلية.[2]

2التعريف الاصطلاحي للمصدر: يدخل في حيز المصادر كل المعلومات والحقائق التي تتصل بأي موضوع يخضع للدراسة والبحث"وقد اعتبر المفكر الإنجليزي كولنجوود في كتابه فكرة التاريخ أن أي شيء في العالم يمكن أن يغدو شاهدا على أية مسألة ويعتبر مصدرا تاريخيا، فبدونه لا يمكن التوصل إلى استنتاجات أو أحكام، وبانعدامه لا يتأتى لنا رسم صورة للتطورات والأحداث الماضية."[3]وعليه فالمصدر هو كل ما حمل حقيقة تاريخية، وخلّفه الحدث التاريخي، ويسمى عند بعض الباحثين: الوثائق[4]، الأصول، كما يعبر عنه أيضا بالأثر التاريخي سواء كان مكتوبا، أو ماديا، أو شفويا، وفي هذا أشار المؤرخ أسد رستم أن ما يتركه السلف من آثار مختلفة هي محور عمل المؤرخ، والتي سماها "الأصول"أي المصادر، والأصول عند المؤرخ هي جميع الآثار التي تخلفت عن

---

[1] نقلا عن: عبد الفتاح خضر، **أزمة البحث في العالم العربي**، ط.3، مكتب صلاح الحجيلان، المملكة العربية السعودية، 1992، ص. 22

[2] سعاد رباح، "منهج التعامل مع المصادر والمراجع في إعداد البحوث العلمية"، **ندوة تكوينية حول: منهجية إعداد مذكرة التخرج** المنعقدة يوم الأحد 22 جمادى الثانية 1441 هـ.الموافق 16 فيفري 2020، ص.2

[3] ناصر الدين سعيدوني، **أساسيات منهجية التاريخ**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص.36

[4] ورد عند ليلى الصباغ أن المؤرخين عرّفوا الوثائق بأنها "جميع الآثار التي خلفتها أفكار البشر القدماء وأعمالهم."واتسع معناها حتى أصبحت الكلمة تعني في أذهان المؤرخين"كل ما يمكن أن يكشف لنا شيئا من ماضي الإنسان."فأصبح مفهوم الوثيقة واسعا جدا ولا حد له، إلا مفهومها المرسوم في ذهن المؤرخ.ينظر: ليلى الصباغ، **دراسة في منهجية البحث التاريخي**، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1979، ص-ص.151-152

السلف، ولكل فترة تاريخية مخلفاتها وآثارها، ويدخل ضمن الآثار هنا ما كان مكتوبا أو ماديا، فمثلا الرسائل الواردة إلى مجلس محمد علي باشا (1769-1849)والصادرة عنه هي أصول لتأريخ هذه الفترة من التاريخ، ومجموعة المدافع والأسلحة التي ترجع إلى عهده، والتي لازالت محفوظة في وزارة الحربية في مصر، وفي سرايا عابدين الملكية هي أيضا أصول في نظر المؤرخ، وأيضا جامعه الشهير القائم على هضبة المقطم، والذي يطل ويشرف على مدينة القاهرة، وحتى عظامه المحفوظة في مثواه في داخل هذا الجامع العظيم، وبقايا ألبسته وأدواته الشخصية التي لازالت محفوظة لدى أحفاده في سراي عابدين الملكية وسائر قصورهم، وهكذا كل الآثار الشخصية التي تخلفها الشخصية التاريخية هي أصول أو مصادر، ويضاف إلى الأصول الكتب والإنتاج العلمي الذي كتب خلال وقوع الحوادث التاريخية، وعلى هذا الأساس كل ما سبقت له الإشارة من مخلفات مادية ومدونة هي في عرف المؤرخين أصول،[1] وبواسطتها يتم كتابة التاريخ.

3التعريف اللغوي للمرجع: المرجع من الفعل رجع يرجع رجوعا، وعرفه علماء اللغة بأنه المكان الذي يتم الرجوع إليه، أو الذي يرد إليه أمر من الأمور، على سبيل المثال الكتاب يعد مرجعا لمن يريد البحث عن المعرفة،[2] وورد في القاموس المحيط ما يفيد"أن المرجع هو المكان، أو الموضع الذي يرجع إليه شخص من الأشخاص، أو الذي يصرف إليه شيء من الأشياء، أو يرد إليه أمر من الأمور، والاستعمال اللغوي لكلمة مرجع يعتبر أن البيت مرجع للناس بعد العمل، والصيدلية مرجع للباحثين عن الدواء، والتجارة مرجع لمن يريد استثمار أمواله، والكتاب مرجع لمن يريد العلم والمعرفة."[3]

4التعريف الاصطلاحي للمرجع: المراجع بصورة عامة هي كل ما كتبه المتخصصون كل في مجاله، حيث اعتمدوا في كتابتها على المصادر، وأضافوا لها فكرهم وعلمهم ودرايتهم باعتبارهم مختصين، والباحث عندما

[1] أسد رستم، **مصطلح التاريخ**، ط.1، مركز تراث للبحوث والدراسات، مصر، 2014، ص-ص.53-54

[2] سعاد رباح، المقال السابق، ص.2

[3] نقلا عن: عبد الفتاح خضر، المرجع السابق، ص.22

يرجع لهذه المراجع سيجد ما وصل إليه أصحاب هذه المراجع المتخصصون قبله، فيبدأ بحثه العلمي حيث انتهى هؤلاء، وقد عرّف الخبراء والمتخصصون في كتابة البحث العلمي المراجع بأنها الأوعية التي يتم الرجوع إليها للحصول على معلومة معينة لمعالجة قضية أو موقف معين، وضربوا أمثلة على ذلك بالقاموس حيث يتم الرجوع إليه لتحديد معنى كلمة معينة، أما المكتبيين فالمراجع ومعها المصادر هي الأوعية الموضوعة ليتم الرجوع إليها للوقوف على شأن معلومة، أو استجابة لموقف معين أو مشكلة معينة تتطلب تلك المعلومات، ومن بين الأمثلة: القاموس الذي يتم الرجوع إليه لمعرفة كلمة ما أو طريقة معينة لنطق هذه الكلمة، وبصورة عامة يطلق مصطلح المرجع على كل ما يرجع إليه الباحث لأخذ معلومة ويقوم بتسجيله في الهوامش السفلية.[1]

5تقارب المعنى اللغوي للمصطلحين(المصدر والمرجع)والاختلاف الجوهري بينهما:

يتقارب معنى المصدر والمرجع باعتبارهما ما يتم الرجوع إليهما عند البحث، لكن ينفرد المصدر من زاوية أن الرجوع إليه أساس الأمر وأوله، وعلى هذا الأساس فإن المصدر عندما يرجع إليه الباحث فإنه يرجع إلى الأصل أي الأفكار الأصلية، أو الأساسية، أو الأولية، بينما المرجع يعتبر الكتابات التي كتبت حول موضوع بحث ما، من كتب ومقالات وبحوث وغيرها، فيعتبر المرجع مقارنة مع المصدر ثانويا أو تابعا، ولتوضيح الأمر ضرب البعض المثال التالي: فإن كان البحث حول الفنون البلاغية في أدب الجاحظ، فإن ما كتب الجاحظ ومؤلفاته، هي عبارة عن مصادر للبحث، أما كتب النقد وكتب الأدب الأخرى، والمقالات التي تتحدث عن الجاحظ أو عن أدبه، فهي مراجع للبحث،[2] وما يقال عن الجاحظ في الأدب يقال عن الشخصيات التاريخية السياسية والثقافية والعسكرية والمصلحين في تاريخ الجزائر...كعبد الحميد بن باديس، أحمد توفيق المدني، الشاذلي بن

[1] سعاد رباح، المقال السابق، ص.3

[2] عبد الفتاح خضر، المرجع السابق، ص-ص.22-23

جديد...وغيرهم فمؤلفات هؤلاء وما تركوه من أثر يعد مصدرا، أما ما كتب حولهم من طرف الباحثين فهي مراجع.

ولتتضح الصورة أكثر فإن المصدر في البحوث التاريخية هو أصل المعلومة بصرف النظر عن شكله أو طبيعته، أما المرجع فهو كل ما كتب أو نقل عن المصادر الأصلية، ويحتاج الباحث كليهما فالمصادر بكل صورها هي المادة الخام التي يتم الرجوع إليها واستخدامها في الدراسات التاريخية، بينما المراجع فهي مجهود الباحثين من الدراسات السابقة، تعكس ما تم التوصل إليه من معلومات وحقائق ومعارف،[1] تحدد قيمتها ودرجتها بالنظر للمصادر التي رجعت إليها، فكلما كان توثيق المراجع دقيقا واعتمدت على باقة متنوعة من المصادر مع الدراسة والتحليل وشمولية وتغطية كل عناصر الموضوع التاريخي وتعمق المؤلف...زادت قيمة المراجع، أما المصدر فعادة لم يوضع ليكون شاهدا على التاريخ ومن هنا تأتي أهميته وصدقه وحياده،[2] فمثلا البنايات والقصور وضعت للسكن، والنقود للتعامل الاقتصادي، والملابس للباس، والسجلات ودفاتر المحكمة لتغطية النشاطات المعتادة...

ورغم الفرق الواضح بين المصادر والمراجع(Sources et références) لكن هناك من يستخدم مصطلح المصادر على وجه العموم للإشارة للمصدر والمرجع ويعبر عن المصادر بالمصادر الأولية[3] أو الأصلية حسب نوعها كالمصادر المادية والمصادر الشفوية...، أما المراجع على اختلاف أنواعها فيسميها المصادر الثانوية،[4] وهناك من يستخدم مصطلح المصادر ويقسمها إلى "مصادر أولية" و"مشتقة"، والمصادر الأولية هي التي يطلق عليها أيضا اسم مصادر أصلية أو الأصول، أو مصادر فقط(مادية كانت أو مكتوبة)، أما المصادر المشتقة فهي تلك المقتبسة من المصادر الأولى، وقد تكون مصادر ثانوية، إذا كان الاقتباس مباشرا، وقد تكون

[1] خالد حامد، **منهج البحث العلمي**، ط.1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2003، الجزائر، ص-ص.39-40

[2] عبد الرحمان عبد الله الشيخ، **المدخل إلى علم التاريخ**، ط.2، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،2000، ص.98

[3] محمد بن عميرة، **منهجية البحث التاريخي**، ط.2، دار هومة، الجزائر، 2014، ص.69

[4] خالد حامد، المرجع السابق، ص-ص.39-40ينظر أيضا: كامل حيدر، **منهج البحث الأثري والتاريخي**، ط.1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ص.119

من الدرجة الثالثة إذا بنيت على مصادر ثانية، فتاريخ الطبري مثلا هو مصدر ثاني للعصريين الراشدي والأموي والعباسي حتى بدء فترة حياته، وتاريخ ابن الأثير (الكامل)هو مصدر من الدرجة الثالثة بالنسبة لهذه العصور، لاعتماده على الطبري فيها، وهذا مجرد اجتهاد ولا يمكن إلزام أحد به.[1]

وهناك من يستخدم كلمة المراجع باعتبارها تغطي مدلول الكلمتين(المصدر والمرجع)، حيث أن المرجع إما أن يكون أصليا وهو المصدر، أو تبعيا وهو المرجع أي يضم أفكارا تبعية أو ثانوية، فتدل بصورة عامة كلمة مرجع على كل ما يرجع إليه الباحث من مؤلفات أصلية أو تبعية، ولم يمانع بعض المختصين باستعمال كلمة المرجع للدلالة على المصطلحين المصدر والرجع، واعتبروا الأمر لا بأس به، بل منهم من رجّح استخدام كلمة "المراجع" بصورة مطلقة وبمدلول واسع للتعبير عن المؤلفات الأصلية والتبعية(الثانوية)، في حين رأى البعض، أن كلمة المراجع تعني ما كتب ويتم الرجوع إليه من طرف الباحث للحصول على معلومات معينة بكل سهولة.[2] إذن هناك من قال بالفرق بينهما وهناك من جعلهما مترادفين في المعنى، مع أن أكثر العلماء فرق بينهما، والأصل في المصدر أنه لا يمكن للباحث الاستغناء عليه في موضوع ما، بينما المرجع فهو الذي يعتمد ويستقي على غيره، وتمسك المفرقون بين المصطلحين بوضع قائمتين في آخر البحث فهرس المصادر وفهرس المراجع، أما القائلون بالترادف فيصنعون قائمة واحدة، ونحن نبين هذا وبما أنه اصطلاح فلا ينبغي المشاحنة في الاصطلاح وإنما توضيح الأمر فقط،[3] لكن بالنسبة لنا في الجامعات الجزائرية في البحوث التاريخية فإنه يتم التفريق بكل دقة بين المصادر والمراجع، بل بين نوع المصادر والمراجع فتفصل الوثائق عن الكتب المطبوعة عن الصحف...ويشار إلى ذلك في نهاية البحث في قائمة المصادر والمراجع المرتبة ترتيبا أبجديا أو هجائيا.

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص-ص.153-154

[2] عبد الفتاح خضر، المرجع السابق، ص.23

[3] السيد رزق الطويل، **مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث**، دار الهدى للطباعة، مصر، 1988، ص.22، 23، 245

6أنواع المصادر والمراجع بصورة عامة: تختلف المصادر والمراجع التاريخية باختلاف الفترة الزمنية المدروسة، فإن كان مثلا المتخصص في التاريخ الحديث يعتمد على الوثائق السياسية، والصحافة، فإن دارس التاريخ القديم يركز على الوثائق البردية[1]، النقوش، الآثار، في حين يعتمد المتخصص في تاريخ العصور الوسطى الفترة الإسلامية أو الأوروبية على المخطوطات والرنوك والآثار، ومع ذلك فكل الباحثين مهما اختلفت تخصصاتهم يتحتم عليهم الاهتمام عموما بالمصادر الأدبية والفنية للفترة المدروسة، فيبحثون عن أهم ما كتب من كتب ومذكرات وروايات وشعر وفن وآثار مادية...ويخضعونه للمنهج التاريخي من أجل الخروج بنتائج علمية،[2] وتحدثت العديد من كتب المنهجية المختصة عن أنواع المصادر والمراجع بصورة عامة، التي يرجع إليها الباحث في التاريخ، ويمكن حصر المصادر[3] التاريخية في ثلاث أنواع أساسية: المادية، المكتوبة، الروايات الشفوية،[4]أما المراجع فهي كل ما اعتمدت وأخذت عن المصادر ولها عدة صور فيمكن أن تكون كتب، مقالات، رسائل جامعية....مع العلم أن كل موضوع له مصادره ومراجعه وليس بالضرورة أن تتوفر كل هذه الأنواع في بحث واحد،[5] وهي كما يلي على أن نفصل لاحقا في مصادر تاريخ الجزائر العثماني:

---

[1] البردي نبات له مواصفات خاصة ينبت في الماء، واتخذ من هذا النبات "كاغد"أبيض بمصر يقال له القراطيس، واستخدم في عدة أماكن، وحملت البرديات معلومات تاريخية كثيرة لفترات زمنية طويلة، اكتشفت أول مجموعة من البرديات في مصر عام 1778م، وكانت مكونة من حوالي 50 لفة، تعرضت للسرقة باستثناء واحدة، نشرت عام 1788 ويعود تاريخها إلى سنة 191م ثم ظهرت مكتشفات ممفيس عام 1820 التي تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد،وتوالت الاكتشافات في مصر وخارجها، وقد كتبت بعدة لغات منها العربية، وتعد البرديات مصادر موثوقة للعصر الذي كتبت فيه احتوت أخبارا اجتماعية واقتصادية...، وهي مصدر هام للمؤرخ والأديب وعالم اللغة.للمزيد حول البرديات ينظر: السيد عبد العزيز سالم، **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص-ص.136-139 وأيضا:جاسر أبو حنيفة، **"أهمية البرديات في كتابة التاريخ الإسلامي"**، محاضرة ألقيت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1420هـ/2000م Noor-Book.com3أهمية البرديات في كتابة التاريخ الإسلامي PDFتم الاطلاع عليه بتاريخ: 20 أكتوبر 2024م.

[2] سيد أحمد علي الناصري، **فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه**، دار النهضة العربية، بيروت، -.187-191

[3] حسب ليلى الصباغ من المستحيل تقريبا حصر مصادر التاريخ أو وثائقه حصرا كاملا، مع العلم أنها استخدمت كلمة المصدر والوثيقة بنفس المعنى، ومن الصعب جدا تقسيمها وتبويبها، واستندت في ذلك لقول الفيلسوف الانجليزي "تولنغود" حينما رأى "أن أي شيء في العالم يمكن أن يغدو شاهدا على أية مسألة كانت"وأشارت ليلى أن بعض المؤرخين حاولوا تصنيف المصادر التاريخية ضمن مجموعتين: الروايات المأثورة، والمخلفات.ينظر: ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص.152

[4] ينظر: ناصر الدين سعيدوني، **أساسيات منهجية التاريخ**، المرجع السابق، ص-ص.38-39، محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص-ص.69-71

[5] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص.71

1.6 المصادر:

أ المصادر المادية: أو الآثار المادية وتشمل كل المخلفات المادية والجيولوجية القريبة أو البعيدة المدى حتى التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ[1]، الظاهرة للعيان كالمباني أو التي ظلت مغمورة تحت التراب، ولم تكتشف إلا عن طريق التنقيبات الأثرية، أو التي قد يتم الكشف عنها مستقبلا عن طريق الصدفة أو التنقيب، والآثار المادية هي شواهد أصلية للنشاط الإنساني (عدا ما قد يطرأ عليها من تأثير المناخ فتلك أمور يأخذها الباحث بعين الاعتبار)، وتصنف على أنها من أصدق المصادر وأكثرها قربا من الحقيقة، لأنها مجردة عن الميول والعواطف[2]البشرية تعكس الواقع المجرد، وقد وصفت بأنها الماضي الحي المشاهد، ويدخل في هذا الحيز المخلفات المادية القريبة أو البعيدة المدى،[3]وقد أشار "غوستاف لوبون" في كتابه فلسفة التاريخ إلى أنه يمكن تعيين حوادث التاريخ بدراسة الآثار والمباني، فالآثار تعتبر من مصادر التاريخ دون شك فهي لا تكذب، والمباني تعتبر هي المصدر الوحيد لبعض حقب التاريخ القديم، كما أنها تكمل بعض حلقات التاريخ الإنساني المفقودة، كما تكشف المصادر المادية خاصة فن البناء عن المعلومات التاريخية التي لا تشير إليها الكتب، وعن التأثيرات الجانبية التي تطرأ على حياة أمة من الأمم نتيجة الغزو أو الانصهار الثقافي[4]، ومن الأمثلة التي نضربها هنا عن المصادر المادية[5]:

– **الفنون** كالعمارة مثل المساجد والقلاع والقصور.

– **النقوش:** وهي صور حروف الكلمات وأوضاعها وكيفية تركيبها وهي موجودة عادة على الأحجار والقبور ولوحات البرونز وجدران المعابد وأعمدة الرخام والمقابر وقطع الخشب والزجاج والخزف والمعادن.

---

[1] لكل عصر مخلفاته المادية وبقياه الأثرية للتوسع ينظر: كامل حيدر، المرجع السابق، ص–ص.120–122

[2] ناصر الدين سعيدوني، **أساسيات منهجية التاريخ**، ص.38

[3] محمد بن عميرة، المرجع السابق، 69

[4] محمد بزيان عمر، **البحث العلمي مناهجه وتقنياته**، ط.4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص.144

[5] محمد بن عميرة، المرجع السابق، 69

–المسكوكات: وهي العملات[1] الرسمية للدول تحتوي على تواريخ وأسماء وحتى صور، وتسلط الضوء على التطور السياسي والديني والاقتصادي لأي بلد، ويحتاج الباحث أن يدعم المصادر المادية بمصادر مكتوبة.

–البقايا الجيولوجية

–بقايا جسم الإنسان: وكل ما يتصل به من ملابس، أسلحة، أدوات استخدمها في حياته اليومية، نقوشه على الحجارة....[2]

–الماديات القديمة عموما: كالتحف المنسوجات والأدوات التي استعملها الإنسان القديم والمنشآت المدنية والعسكرية والسدود والقناطر والقنوات والطرق والمباني والمقابر، وقد بدأت كتابة بالنقش على هذه الآثار القديمة، فسجل فيها القدماء تاريخهم ومعتقداتهم وقوانينهم الخاصة وتنظيماتهم الاجتماعية وانتصاراتهم العسكرية، وكل هذه من المصادر الأولية للمؤرخ ويبذل علماء الآثار والمتخصصون في اللغات القديمة جهودا كبيرة لدراستها والاستفادة منها.[3]

ب المصادر المكتوبة(المدونة[4]) أو الآثار المكتوبة وتعرف أيضا بالأصول: وتشمل كل ما كتب ودون من فترة قريبة أو بعيدة وهي أيضا من أرقى أنواع المصادر لكن قد تتسرب العاطفة لبعضها، لذا يجب أن تؤخذ

[1] يعتبر بعض العلماء العملات المعدنية فرعا من النقوش وهي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ويحتمل أن أول عملة ذهبية صنعت في "ليديا" وأول عملة فضية في "إيجينا" ومنها انتشرت في بلاد اليونان وإلى عالم البحر المتوسط، وتحتفظ المتاحف العالمية بمئات الألوف من العملات القديمة وتعتبر دراسة العملات وعلم النميات ذات قيمة تاريخية لدراسة السياسة والاقتصاد والفن والدين، ورغم ارتفاع المصداقية في مثل هذه المصادر لكن على المؤرخ الحذر لأن هناك مزالق علمية نظرا للتزييف الذي يقوم به البعض طمعا في الكسب المادي، لذلك أصبحت دراسة العملات تتم من طرف متخصصين على أعلى مستوى.ينظر: محمد زيان عمر، المرجع السابق، ص–ص.143–144

[2] قاسم يزبك، **التاريخ ومنهج البحث التاريخي**، ط.1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990ص.92

[3] محمد زيان عمر، المرجع السابق، ص.142، 143

[4] ظهرت الوثائق المدونة في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، في كل من وادي النيل ووادي الرافدين، فكانت الكتابات المسمارية في العراق القديم والهيروغليفية في مصر، وكشف التنقيب في البلدين عن مجموعات من النصوص والوثائق المدونة وتتضمن سجلات المعاملات التجارية، والاقتصادية كعقود البيع والشراء والقروض، وعقود أخرى حول الأحوال الشخصية كعقود الزواج والطلاق، وسجلات المحاكم، وسجلات رسمية تتعلق بأعمال الحكام والملوك والرسائل....ينظر: كامل حيدر، المرجع السابق، ص.120

نفسية الكاتب بعين الاعتبار،[1] والمقصود هنا الكتابات البشرية طبعا أما **القرآن الكريم والحديث باعتبارهما من المصادر السماوية** فهما من أصدق المصادر بالنسبة للمسلم، ولا سبيل للشك في صحة القرآن لأنه تنزيل من الله تعالى[2]، وتصنف الكتب المقدسة على أنها من المصادر بالإضافة إلى باقي الأنواع:

–الكتب المقدسة: وتشتمل الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن الكريم على قدر كبير من المادة التاريخية، ومعالجة كتب العهد القديم(التوراة)والعهد الجديد(الإنجيل)تعتبر من الموضوعات الشائكة لأنها حسب معتقد المسلم قد لحقها التعديل والتبديل، ورغم ذلك فيها أمور صحيحة، أما القرآن الكريم كمصدر من مصادر التاريخ فلا يرقى إليه شك، فقد تعهد رب العزة بحفظه، وأشار القرآن الكريم إلى أخبار الأمم البائدة مثل عاد وثمود، وبالفعل أثبتت الاكتشافات الأثرية آثارهم في شما الحجاز واليمن، كما يشكل الحديث الشريف رافدا مهما من روافد المادة التاريخية، خاصة بالنسبة للسيرة النبوية والمغازي.[3]

–المصادر التاريخية القديمة جدا: وهي تلك المادة التاريخية التي وصلت إلينا عن طريق الرحالة والمؤرخين القدامى مثل: "هيردوتس"المؤرخ اليوناني، و"إسترابون"و"ديودورس"الصقلي، وأثبت البحث الحديث صحة جزء كبير من المادة التاريخية التي كتبوها، وإن كانت هذه المصادر لا تخلو من الخرافة والمعتقدات البدائية التي كانت سائدة في زمانهم.[4]

ومن الأمثلة أيضا عن المصادر المكتوبة[5]:

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، **أساسيات منهجية التاريخ**، ص.39

[2] السيد عبد العزيز سالم، **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص.169

[3] محمد زيان عمر، المرجع السابق، ص–ص.144–145

[4] محمد زيان عمر، المرجع السابق، ص.146

[5] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص.70

–الوثائق[1]: والمقصود بها الأوراق الرسمية لمختلف الدول كالتقارير السرية، وأوراق المعاهدات والمراسلات، والتعليمات والسجلات، والأوامر القضائية، والمالية، والأحكام والفتاوى وتقاليد الولاة والموظفين، سجلات المحاكم من عقود الزواج والطلاق... ويحتل هذا النوع من الوثائق المقام الأول في الدراسات التاريخية، لأنه يحتوي على مادة تاريخية هامة، غير قابلة للتغيير، وضعت لذاتها فلم تكتب من أجل أن تكون مصدرا تاريخيا، بل كانت نشاطا عاديا في الدولة، وتكون عادة موجودة في الأرشيف أو دور المحفوظات.

–الكتابات التاريخية: وتتضمن **المخطوطات**[2] وأيضا الكتب **المطبوعة والمنشورة**، والمخطوطات والكتب المنشورة منها الأصلية أو الأولية وهي المهمة، وتعني أن أصحابها نقلوا فيها الحوادث التي عاصروها، أو اعتمدوا في نقلها على مصادر معاصرة للحدث، وهذه المصادر غير متوفرة أو ليس من السهل الرجوع إليها (يسمى هذا النوع أحيانا أمهات الكتب أي الكتب التي أصبحت قاعدة لغيرها من الكتب.)

–المذكرات والتراجم والسير الذاتية: وتصب مادتها العلمية في حياة الأشخاص.

–الكتابات الأدبية والفلسفية:

–تقارير شهود العيان والمشاهدات الشخصية عن الأحداث .

–المصادر المكتوبة الشخصية: كالرسائل والمفكرات.

–ما كتبه الرحالة والجغرافيون: وهي المصادر التي كتبها الرحالة والجغرافيون، وهي مهمة جدا خاصة وأن الرحالة عاشوا كثيرا من الأحداث وطافوا في الأرض، ورأوا وسمعوا، وكتبوا تجربتهم، ومع ذلك تخضع تجربتهم للنقد

[1] سنقوم لاحقا بشرح المصطلح بشكل دقيق

[2] المخطوطات كتب قديمة لم يتم طبعها بعد، ولا تزال بخط المؤلف أو غيره، أو أخذت عنها صور فوتوغرافية لتودع كل صورة منها في إحدى المكتبات العامة، التي تحرص على اقتناء المخطوط، ومعظم المخطوطات نادر الوجود، وقد يفقد الكثير منها، أو تضيع بعض الأجزاء بسبب عوامل اقتصادية أو سياسية...وقد تتآكل بعض صفحات المخطوط بفعل العوامل الزمنية أو رداءة المكان المحفوظ فيه، واستخدام المخطوطات في الدراسات العلمية شائع ومعروف، وهناك بحوث لا تستغني عن استخدام المخطوط.ينظر: عبد الرحمان عميرة، **أضواء على البحث والمصادر**، ط.3، عكاظ للنشر والتوزيع، 1981، ص.65

العلمي[1]، وترجع كتب الرحالة والجغرافيون إلى وقت مبكر ابتداء من الرحالة الإغريق إلى الوقت الحاضر، وتستند قيمة هذه المصادر التاريخية إلى أن الرحالة جمعوا في كتبهم بين المعلومات الجغرافية والتاريخية وهناك نماذج عديدة للكتاب الرحالة والجغرافيين العرب وهي ذات قيمة علمية كبيرة[2].

–الصحافة: تغطي الأخبار الصحفية فترة زمنية كبيرة من تاريخ المجتمعات، وبالنسبة للصحافة العربية فهي تغطي فترة زمنية ذات قيمة، فقد صدرت في مصر أول صحيفة عربية عام 1828م هي الوقائع المصرية، وقبل الوقائع المصرية كانت الحملة الفرنسية على مصر أصدرت صحيفة خاصة عام 1798م، ثم انتشرت الصحف بعد ذلك سواء في مصر أو العالم العربي ومنها الجزائر حيث صدر عام 1847م صحيفة المبشر بها، والصحف بصورة عامة تحتوي على مادة تاريخية متنوعة من أخبار سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية،[3] يجب على الباحث في التاريخ الرجوع إليها واستخدامها في بحوثه حسب الحاجة.

ج المصادر الشفوية: ويدخل ضمنها الروايات الشفوية، ويشمل هذا النوع الأقوال التي تؤخذ عن طريق الرواية مباشرة من الأشخاص الذين عاشوا الحدث، كما تقوم هيئات رسمية بتسجيل الروايات في إطار حفظ التراث الشفوي لتقديمها للباحثين،[4]كما يدخل ضمنها أيضا الأساطير والأمثال المتناقلة بين الناس، والحكايات الشعبية، وعبارات التحية والمجاملة والرقصات والأغاني الشعبية، التي تساعد في التعرف على طابع الحياة من الناحية الاجتماعية والثقافية في مجتمع ما،[5]ويجب على الباحث الذي يستعين بهذا النوع من المصادر إخضاعها لمنهج دقيق وللمقارنة مع غيرها من المصادر، لأنها تعتمد على الذاكرة، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يؤكدون

[1] عبد الرحمان عبد الله الشيخ، المرجع السابق، ص.90

[2] محمد زيان عمر، المرجع السابق، ص.146

[3] عبد الرحمان عبد الله الشيخ، المرجع السابق، ص–ص.96–97

[4] ناصر الدين سعيدوني، **أساسيات منهجية التاريخ**، ص.39

[5] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص.71

خطر الاعتماد على ذكريات الشعوب والأدب الشعبي في الكتابة التاريخية،[1] وتنهار الرواية الشفوية أمام المصادر المادية والمكتوبة.

2.6 المراجع:

المراجع كثيرة وأنواعها متعددة، رأى بعض المتخصصين جمعها في ثمانية أقسام أساسية، يشمل كل قسم منها عدة أنواع، وهذه الأقسام هي[2]:

-كتب عن الكتب

-عالم الدوريات

-كتب عن الكلمات

-كتب عن الأماكن

-كتب عن الناس

-الموسوعات ودوائر المعارف

-النظرة التاريخية العامة

-مراجع الموضوعات المتخصصة

أولا كتب عن الكتب: ويختص هذا القسم بالمراجع التي تتناول الكتب والكلام عن الكتب والتعريف بها، وهو يشمل خمسة أنواع هي: فهارس المكتبات، الببليوغرافيات، مراجعات الكتب، المطبوعات الحكومية، الرسالات العلمية...وتعرف كل واحدة كما يلي[3]:

[1] ناصر الدين سعيدوني، **أساسيات منهجية التاريخ**، المرجع السابق، ص.39

[2] اخترنا التصنيف الذي وضعه أحمد بدر، ينظر: أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، ط.5، دار المعارف، 1989، ص-ص.138-146

[3] أحمد بدر، المرجع السابق، ص-ص.139-141

1فهارس المكتبات: وهي ما تصدره المكتبات الكبرى من فهارس منظمة لمقتنياتها من الكتب والدوريات وغيرها، وتكون هذه الفهارس في متناول أيدي القراء والباحثين، لتعريفهم بمحتويات المكتبة بكل سهولة.

2الببليوغرافيات: علم الببليوغرافيا هو علم وصف الكتب والتعريف بها، ضمن حدود وقواعد معينة، والكلمة مكونة من Graphyو Biblisوهو الرسم أو التخطيط أو الكتابة عن الكتاب، والببليوغرافيات هي مراجع مهمة تقدم للباحثين والقراء عرضا شاملا للمطبوعات التي ظهرت في كثير من نواحي المعرفة....كما تقدم أيضا معلومات عما تحتويه هذه المطبوعات من مواد، وهي من الناحية النوعية إما تكون ببليوغرافيا وصفية، أو تحليلية، أو نقدية، وهي من ناحية المادة حسب اختيار المؤلف، فيكون التجميع الببليوغرافي إما تجميعا كاملا لكل ما ظهر، أو تجميعا لمواد مختارة في موضوع معين، وقد يكون التجميع رجعيا أي راجعا إلى زمن مضى، أو جاريا حديثا، كما أن التجميع الببليوغرافي قد يكون على ترتيب هجائي بالألف أو بالعنوان أو بالموضوع، وقد يكون تاريخيا، أو منهجيا، وازدهرت مع القرن العشرين الببليوغرافيات القومية، كما زاد الاهتمام بإصدار الببليوغرافيات القومية الرجعية، وتهتم هذه الببليوغرافيات بأن تشمل كل مادة مطبوعة: الكتب، المؤلفين، المؤلفات مجهولة المؤلف، الدوريات، الجديدة، الرسائل العلمية، الخرائط والرسوم، الصور الفوتوغرافية، النصوص الموسيقية، المطبوعات الرسمية وغيرها، وكل أنواع الببليوغرافيا مفيدة للقراء والباحثين.

3مراجعات الكتب: أي نقد الكتب، وهذه تشمل المراجع التي تتناول بالوصف والتعريف الكتب، التي تصدر في مختلف مجالات النشاط الفكري ومن بين الأمثلة: قوائم دار المعارف بالقاهرة.

4المطبوعات الحكومية: وهي تعتبر من المراجع الهامة، للإجابة على كثير من الاستفسارات وخاصة الموضوعات المتصلة بالنشاط الحكومي، كالإحصاءات الرسمية والتجارة والتربية والتعليم والدفاع والقانون والاقتصاد...

5الرسالات العلمية: وتمثل هذه نوعا هاما من المراجع، التي تسجل الرسائل العلمية المقدمة للجامعات للحصول على درجات علمية، والرسالة عبارة عن بحث أكاديمي مكتوب يعالج نقطة معينة، في موضوع علمي أو أدبي أو اجتماعي...ويشترط فيه الجدية وأن يكون مفيدا، ولهذا تعد الرسائل العلمية عنصرا هاما في مجموعة المراجع، التي تهم الباحثين، لأنها تزودهم بالمعلومات المتعلقة بأبحاثهم، وتعرفهم حول موضوعاتهم التي يعملون عليها، هل سبقت دراستها أم لا.

ثانيا عالم الدوريات[1]: وهذا القسم من المراجع يتناول الدوريات والدوريات هي عبارة عن مطبوع يصدر في حلقات متعاقبة، وعلى فترات منتظمة أو غير منتظمة، وتعتبر الدوريات مهمة جدا لأنها تنشر آخر ما وصلت إليه البحوث في فروع العلم المختلفة، وهي تعد من ناحية المعلومات التي تقدمها أحدث من معلومات الكتاب مهما كانت درجة حداثته، ويشمل هذا القسم ثلاثة أنواع رئيسة: أدلة الدوريات، كشافات الدوريات، الصحف والمجلات.

ثالثا الكتب عن الكلمات[2]: وهذا القسم يشمل القواميس والمعاجم اللغوية بمختلف أنواعها، حيث يضم القاموس أو المعجم كلمات اللغة، مرتبة هجائيا في أغلب الأحيان مع شرح لمعانيها واستعمالاتها، وطرق هجائيتها ونطقها ومرادفاتها أو ما يضادها من الكلمات، والقواميس إلى جانب اللغة تهتم بالاختصارات والرموز ومدلولاتها، فالقواميس تهتم أساسا بالمفردات فقط، ويشمل هذا القسم على ستة أنواع رئيسة هي: قواميس اللغة العربية، قواميس اللغة الإنجليزية، القواميس ذات اللغتين، قواميس اللهجات العامية، قواميس المترادفات، قواميس المختصرات... ومن بين أشهر الأمثلة: لسان العرب لابن منظور.

[1] المرجع نفسه، ص.142

[2] المرجع نفسه، ص-ص.142-143

رابعا كتب عن الأماكن[1]: وهذا القسم يتناول المراجع الجغرافية ومن بين أهمها: الأطالس والقواميس الجغرافية (معاجم البلدان)، والأطالس والقواميس الجغرافية والخرائط يستفيد منهما من له صلة بالاستعلام الجغرافي، والباحثون في مجال الجغرافيا للتعرف على المصطلحات الجغرافية، مواقع المدن والتعريف بها، وتحديد الأماكن الرئيسة بكل منها، ومن بين الأمثلة: القاموس الجغرافي والجيولوجي، معجم البلدان.

خامسا كتب عن الناس[2]: وهذا القسم يشتمل على مراجع تراجم وسير الأشخاص، وهي عادة مراجع وضعت لتعطي معلومات تراجمية، ومن بين الأمثلة: الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب، تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي.

سادسا الموسوعات ودوائر المعارف[3]: ويهتم هذا النوع من المراجع بتغطية جميع الموضوعات بصفة عامة، وهي مفيدة للتثقيف الذاتي، وفيها نوعين رئيسين هما: الموسوعات ودوائر المعارف العامة، الحوليات والكتب السنوية، أما الموسوعات ودوائر المعارف العامة فهي مراجع تضم مقالات موجزة، أو طويلة، في مختلف الموضوعات، وعادة تكون معلوماتها عامة عن الموضوعات، وهي مرتبة ترتيبا هجائيا في أغلب الأحيان، أما الحوليات والكتب السنوية فهي مراجع تصدر متتالية كل عام، وفيها قدر كبير من المعلومات المتعلقة بالأحداث الجارية أو القريبة، كما تشمل التطورات العالمية التي تحدث خلال عام واحد في شكل مختصر.

سابعا النظرة التاريخية العامة[4]: وهذا القسم يضم المراجع العامة التي تتناول الأحداث التاريخية في العالم بشكل عام، وهي عادة تكون مرتبة ترتيبا زمنيا حسب تسلسل الأحداث ومن بين الأمثلة: كتاب قصة الحضارة.

[1] المرجع نفسه، ص-ص.143-144
[2] المرجع نفسه، ص.144
[3] المرجع نفسه، ص-ص.144-145
[4] المرجع نفسه، ص.145

ثامنا مراجع الموضوعات المتخصصة[1]: ويشتمل هذا القسم على المراجع الأساسية للموضوعات المختلفة في شتى نواحي المعرفة الإنسانية، وتسمى عادة بالمراجع المتخصصة، وأنواع هذا القسم كثيرة ومتعددة ومن بين الأمثلة: معجم المصطلحات المكتبية(مراجع المكتبات)، الموسوعة الفلسفية المختصرة(مراجع الفلسفة)، القاموس الإسلامي(مراجع الديانات)، القاموس السياسي والدبلوماسي(مراجع الحكومة والسياسة).

ويضاف للتصنيف الذي وضعه أحمد بدر، ما استحدث من مراجع جديدة ووسائل يرجع إليها الباحث منها: **المحاضرات العامة أو الخاصة**، حيث يمكن للباحث خاصة الطلبة في البحوث الصفية، الرجوع إلى المحاضرات التي ألقيت في مدرجات الجامعة أو الموقع الرسمي لها في مقياس من مقاييس التاريخ، أو خلال ملتقى وطني أو دولي أو ندوة علمية في الجامعة، أو في مؤسسات عامة أخرى كالمتاحف ودار الثقافة ...في الملتقيات العلمية أو المناسبات التاريخية الخاصة كمجازر ماي، انطلاق الثورة، أو عيد الاستقلال...شرط أن يكون الأستاذ حائزا على رتبة علمية، حيث يوثق في مجهوده العلمي، كأن يكون حائزا على درجة الدكتوراه أو أكثر، وطبعا تكون محاضرته وفق المنهج العلمي المتعارف عليه، فتعد بذلك مرجعا، ونلحق بهذا النوع من المحاضرات، **المحاضرات المسجلة في شريط راديو أو في شريط فديو**، وأيضا من المراجع **البحوث غير المنشورة** ونود الإشارة هنا على وجه الخصوص للمطبوعات البيداغوجية والكتاب البيداغوجي، وأيضا **الحصص التلفزيونية أو التي بثت على المذياع**، فهذه أيضا من المراجع شرط أن تكون هذه الحصص جادة ونشطها أساتذة ومختصون في الدراسات التاريخية، وأيضا **الأفلام التاريخية والشريط الوثائقي** الذي يدور حول موضوع ما يعد من المراجع،[2] ولا ننسى الحديث عن ما تقدمه **شبكة الانترنت** من خدمات معرفية سريعة وفعالة، وأصبحت منذ ظهورها من أهم الوسائل التعليمية والتثقيفية، حتى صعب على الباحثين الآن الاستغناء عنها، فتوفر لهم مواقع

[1] المرجع نفسه، ص-ص.145-146

[2] رشيد زرواتي، **تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية**، ط.1، دار هومة، الجزائر، 2002، ص-ص.29-31

المعرفة والمكتبات الإلكترونية، المنتديات، صفحات الويب، مجموعات الأخبار والمؤتمرات الافتراضية، مقاطع فديو تعليمي على اليوتيوب، صفحة فيس بوك، التغريدة على تويتر، مدونة....وطبعا يستفيد الباحث من هذه الخدمات[1] ويوظفها لصالح دراسته كلما دعت الحاجة.

[1] إبراهيم مرزقلال وعباس فتحي، "استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في البحث التاريخي وطرق توثيقها"، مستخرج من كتاب: **تقنيات البحث التاريخي**، ط.1، نواصري للطباعة والنشر، المسيلة، الجزائر، 2022، ص-ص15-21

المحاضرة الثانية: أهمية المصادر والمراجع في دراسة التاريخ

1أهمية المصادر "المصادر أساس الدراسة التاريخية:

تحتل المصادر مكانة هامة في الدراسات التاريخية، بل تعتبر أساس عمل المؤرخ، وبدونها لن تقوم للمؤرخ قائمة، فإذا ضاعت وفقدت لأي سبب من الأسباب لن يتمكن المؤرخ من الكتابة التاريخية، ولعل أسد رستم حسم بدقة أهمية المصادر حينما أكد أنه:"إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها، هذه قاعدة عامة لا موضع للجدال فيها، وذلك أن التاريخ لا يقوم إلا على الآثار التي خلفتها عقول السلف أو أيديهم، فإذا سطت محن الدهر أو عوادي الزمن على بعض هذه الآثار وأزالت معالمها، فقدها التاريخ، وكانت كأنها لم توجد، وبفقدها يجهل تاريخ عصرها ورجالها، أما إذا بقيت وحفظت فقد حفظ التاريخ فيها."[1]ومادامت المصادر هي أساس الكتابة التاريخية، فعلى المؤرخ أن يقوم بالبحث والتفتيش عنها، وجمع مختلف آثار السلف، لأنها خطوة هامة وأساسية في عملية الكتابة التاريخية، لذا يعد جمع المصادر من بين أولى خطوات عمل المؤرخ، وإذا لم يجد المصادر لموضوع بحثه فليصرف عنه النظر "فإذا صحت القاعدة العامة–وهي صحيحة دون جدال–في أنه إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ."[2]

وتحدثت ليلي الصباغ عن أهمية المصادر في دراسة التاريخ، واعتبرتها أيضا من أساسيات العمل التاريخي، فالمؤرخ لا يخترع الحوادث التي يكتبها من ذهنه وخياله كما يفعل القصصي، وإنما هي حوادث وقعت والمؤرخ يعيد تركيبها"بشكل مماثل تماما لواقعها الماضي"، ومن ثم عليه أن يستقيها من ينابيعها الماضية، والينابيع الماضية هي المصادر(على اختلاف أنواعها)والمصادر هي التي تحتفظ بأخبار الماضي أو بشيء منه ويمكن للمؤرخ تلمس هذا الماضي في قلب الحاضر، ونتيجة أهمية المصادر في عمل المؤرخ، فإن خطوة جمعها اعتبرت من أكثر الخطوات

[1] أسد رستم، المرجع السابق، ص.53

[2] المرجع نفسه، ص–ص.53–54

أهمية وصعوبة، ونظر لها بعض المؤرخين على أنها من أهم أعمال المؤرخ، فالتاريخ يصنع بالمصادر وحيث لا مصادر لا تاريخ.[1]

وما أكدته ليلى الصباغ أكده بالضبط حسن عثمان فالبحث عن المصادر من العمليات الأساسية في كتابة التاريخ، وأن عدد المصادر عن موضوع ما، هو الذي يحدد إمكان الاستمرار في البحث فيه أو التوقف، والانصراف لموضوع آخر، والباحث الذي يكتب التاريخ دون أن يجمع بين يديه مجموعة من الوثائق الأساسية تنقص قيمة بحثه العلمية وتتضاءل أو حتى تنعدم، مهما بذل من مجهود، كما أشار إلى أن التاريخ يخسر بضياع مصادره سواء كان هذا الضياع بقصد أو دون قصد كأن تتعرض للتلف أو الضياع، أو يتم التخلص منها وإتلافها حينما تكون في حوزة من لا يفهم قيمتها التاريخية، أو من يتعمد منع تداول معلوماتها بين الناس، وكثيرا ما يجد المؤرخ –في ظل غياب المصدر–فجوات في مجرى التاريخ، يبقى عاجزا عن ملئها، وستبقى حلقات كثيرة من التاريخ مجهولة إلى الأبد، وليس هناك ما يمكن أن يعوض عن ضياع تلك الوثائق وحيث لا توجد الوثائق ينعدم وجود التاريخ،[2] وبهذا أصبح من الواضح أن الدراسات التاريخية والمنهج التاريخي قائم على جمع مختلف المصادر، وهي التي يستخدمها المؤرخ لدراسة واكتشاف الحقائق، والسعي لتفسيرها بعد عملية القراءة والتحليل والنقد.[3]

2أهمية المراجع:

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص.151

[2] حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، ط.7، دار المعارف، القاهرة، 1996، ص.70

[3] خالد حامد، المرجع السابق، ص.41

وكما يحتاج الباحث في التاريخ المصادر يحتاج المراجع أيضا حسب متطلبات بحثه، فمن الضروري الاطلاع على ما كتبه السابقون[1]، وتتبع المسألة أو الفكرة الواحدة في الكتب الموجودة على الساحة الثقافية، لأخذ فكرة عامة عن موضوع بحثه ويدرك كيف نمت هذه الفكرة وتطورت، وكيف عالجها الكتاب المختلفون، كما ستتسع آفاق بحثه ويستطيع أن يتعرف على مجموعة جديدة من المصادر والمراجع التي تصب في إطار بحثه وذلك بالنظر إلى تهميش المرجع الذي بين يديه، فكل مرجع له مصادره ومراجعه الخاصة والتي يمكن أن يرجع لها الباحث إذا رأى أنه سيستفيد منها، وتعد خطوة العودة للمراجع بكل أنواعها خطوة ضرورية، تثري الباحث من حيث المادة العلمية وتكسبه الجهد والوقت، وتساعده على معرفة النقاط الجديرة بالدراسة والإيضاح، ومعرفة ما سيتوسع فيه أو يتجاوزه، وعدم الرجوع للمراجع والعناية بهذه الخطوة يعد إخلالا بشرط من شروط البحث العلمي، وينبغي على كل جيل من الباحثين والمؤرخين أن يعرف ما كتبه السابقون، ويتعرف على المصادر والمراجع التي استفادوا منها، وعليه أن يبدأ حيث انتهوا، وأن يعمل مؤرخ اليوم لكي يمهد لمؤرخ الغد وهكذا على التوالي.[2]

إن عملية جمع المصادر والمراجع والاطلاع عليها خطوة ضرورية للباحث ولا مفر منها، وبواسطتها يتمكن من الخوض في غمار الكتابة، وبانعدامها تنعدم الكتابة التاريخية، كما تساعد المصادر والمراجع الباحث على إثراء موضوع بحثه وفق منهج علمي دقيق، ومصداقية البحث من عدمه متوقفة على مدى المصادر والمراجع التي رجع إليها الباحث، وفي هذا تشترك الكثير من العلوم وليس علم التاريخ فقط، كما أن الباحث من خلال اطلاعه على المصادر والمراجع يربط نفسه بحلقات البحث على المستوى العالمي ويصبح جزءا منها، ويمكن أن نوضح أهمية المراجع في الدراسات التاريخية في النقاط التالية[3]:

---

[1] على الباحث هنا أن يستعين بالمكتبات، والمقالات الواردة في دوائر المعارف، والببليوغرافيات، مراجعة فهارس المجلات، مراجعة فهارس دور الكتب المطبوعة وغير المطبوعة في بلده وفي البلدان التي تتاح له زيارتها...حتى يتمكن من جمع قائمة بأسماء المصادر المطبوعة والمراجع التي تكون له عونا في موضوع بحثه..ينظر: حسن عثمان، المرجع السابق، ص-ص.68-69

[2] حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط.7، دار المعارف، القاهرة، 1996، ص.67

[3] محمد منير حجاب، **الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية**، ط.3، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص.52

-تمكن المصادر والمراجع الباحث من الإحاطة بأبعاد موضوعه.

-يحدد الباحث من خلال المصادر والمراجع النقاط الجوهرية المتصلة ببحثه ويترك الأمور غير الضرورية.

-يطلع الباحث من خلال المراجع على النتائج التي توصلت إليها البحوث السابقة.

-تفيد المراجع الباحث في تدعيم فكرته عن موضوع بحثه وأهميته، طالما تناول الباحثون قبله إشكاليته من زوايا أخرى.

-تكسب المراجع الباحث مهارة في البحث وكيفية الاستقصاء.

-يطلع الباحث من خلال المراجع على ما سبق نشره في موضوعه.

-بعد اطلاع الباحث على مختلف المراجع يتمكن من الإلمام بمختلف أنواع المصادر والمراجع التي تساعده في بحثه.

-تساعد المراجع الباحث من الاطلاع على الطرق والأساليب التي استخدمها الباحثون في بحوثهم التي سبقت بحثه.

ورغم أن الباحث يستطيع أن يقتصر في قراءته للمصادر المطبوعة والمراجع على النقاط التي تهمه فقط، إلا أن الفائدة التي يجنيها كبيرة لشخصه ولبحثه فهي[1]:

-تجيب على الاستفسارات التي يطرحها في نفسه أو في بحثه.

-تعطي لشخصه قيمة أدبية ولبحثه قيمة علمية.

-يتم الاعتماد عليها في حل القضايا والمشكلات موضع البحث بصورة دقيقة.

-تعتبر المصادر والمراجع حلقة وصل بين الماضي والحاضر.

[1] سعاد رباح، المقال السابق، ص-ص.4-5

-من خلال المصادر والمراجع نأخذ فكرة على مدى التطور الذي وصلت إليه البشرية في جميع المجالات بصورة عامة، كما نلم بالدراسات التاريخية بصورة خاصة.

-توضح المصادر والمراجع مدى حداثة المعلومات التي يستند إليها الباحث.

-تنمية المعرفة من خلال تراكم المعلومات والإحاطة بها.

-تعد المصادر والمراجع وسيلة غير مباشرة لتبادل الثقافات بين شعوب العالم.

-ينسب الباحث المصادر المطبوعة والمراجع التي استخدمها في بحثه لأصحابها من باب الأمانة العلمية، وهذا الفعل يعد بصورة غير مباشرة بمثابة تكريم للباحثين الأوائل والذين ساهموا بكتابة البحث العلمي، حتى أن العلم النافع يعد صدقة جارية على روح المسلم الميت كما ورد في ديننا الحنيف.

3أهمية المصادر والمراجع في دراسة تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830م: وما قيل عن أهمية المصادر في الدراسات التاريخية بصورة عامة يقال أيضا بخصوص دراسة تاريخ الجزائر الحديث، فالمصادر بمختلف أنواعها هي المنبع الأول لدراسة تاريخ الجزائر الحديث، ولا يمكن الإحاطة بتاريخ أيالة الجزائر وأوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية دون الرجوع لمختلف المصادر، من أرشيف ومصادر محلية وأجنبية، ويحتاج الباحث في هذا التخصص لمختلف المصادر التي تغطي مطلع القرن السادس عشر الذي يمثل بداية التواجد العثماني في الجزائر، إلى غاية السنوات الأولى من القرن التاسع عشر الذي يمثل سقوط الأيالة وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد يحتاج الباحث التوغل للضرورة العلمية فيرجع لما قبيل دخول العثمانيين، ويمتد بعد الاحتلال الفرنسي، لتكتمل صورة الأحداث التاريخية عنده، ويعكس كل مصدر الفترة الزمنية التي ظهر فيها فقد يغطي أحد المصادر القرن السادس عشر فقط، ويغطي مصدر آخر القرن السابع عشر، كما أن لكل مصدر معلوماته الخاصة فقد يفيدنا مصدر معين في الحياة السياسية لأيالة الجزائر في حين لا يعطينا معلومات كافية عن الحياة الاجتماعية والثقافية أو العكس، وهنا يتوجب على الباحث تتبع المعلومات وتنويع مصادره للحصول على

المعلومات التاريخية الكافية، وتشتهر بعض المصادر بغزارة المعلومات وتنوعها عن مختلف مراحل الحكم العثماني بالجزائر، حيث نجد أنها قدمت معلومات في عدة جوانب وأصبح من الصعب لأهل التخصص الاستغناء عنها، كما تحتل الوثائق الأرشيفية مكانة هامة في دراسة تاريخ الجزائر الحديث، **فسجلات المحاكم الشرعية، وسجلات البايلك، وسجلات رواتب الانكشارية** تصنف من أهم وثائق تاريخ الجزائر الحديث.

ويعتبر كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية على قدر كبير من الأهمية تناول فتح وهران الأول في عهد الداي محمد بكداش(1707-1710م)،[1]كما يقدم كتاب المرآة[2] لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة مادة علمية قيمة عن أيالة الجزائر وكذلك مذكرات أحمد الشريف الزهار الذي قام بتحقيقه أحمد توفيق المدني،[3]وتعد مؤلفات ديغو دو هايدو[4] حول الجزائر من أهم المصادر الأجنبية التي احتوت على مختلف المعلومات حول الأيالة، وكذلك مؤلف لوجي دو تاسي[5]، وفونتير دو بارادي[6]، فهي أيضا من أهم مصادر تاريخ الجزائر الحديث، التي يجد فيها الباحث معلومات تاريخية عن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعسكري لأيالة الجزائر، ولا يمكن الإشارة هنا لكل مصادر تاريخ الجزائر لكن يجب أن نشير أن لكل موضوع مصادره الأساسية والخاصة، وقد تحتوي بعض المصادر على جوانب معينة دون الأخرى، كما قد توفر بعض المصادر معلومات متنوعة وغزيرة، وتبقى مهمة الباحث الأساسية هي البحث عن مختلف أنواع المصادر ودراستها

[1] محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

[2] حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980

[3] أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ/1754-1830م**، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974

[4] عاش في الجزائر أسيرا وهو إسباني الأصل وتمكن من تأليف عدد من المصادر حول أيالة الجزائر منها: تاريخ ملوك الجزائر(histoire des rois d'Alger,) وطبوغرافية وتاريخ الجزائر العام(topographie et histoire générale d'Alger)

[5] -Laugier De Tassy, histoire du royaume d'Alger, Henri du Sauzet, Amsterdam.

[6] Venture De Paradis, ALGER AU xvii siècles, Adolphe Jourdan, Alger, 1898

ونقدها، وهي في الحقيقة مهمة صعبة وشاقة وهنا تكمن أهمية علم التاريخ، فهو ليس سردا للقصص والحكايات بل علم قائم بذاته وله منهجه الخاص به، وأساسه المصادر بمختلف أنواعها وأشكالها.

المحاضرة الثالثة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية

أولا المصادر المادية واللامادية:

1المصادر اللامادية:

خلف العثمانيون في الجزائر تراثا ثقافيا مهما، وهو يعد ثروة حضارية وثقافية تراكمت عبر قرون، وأصبحت مع الزمن جزءا من هوية الجزائريين، والتراث بصورة عامة هو "ذلك التراكم المعرفي غير المحدود الزاخر بالقيم والتقاليد."وينقسم التراث الثقافي إلى تراث ثقافي مادي، تراث ثقافي لامادي، تراث طبيعي، ويطلق التراث المادي الثقافي على كل ما يدركه المرء بحواسه من قصور، معابد، قلاع، نقوش، مسلات، منشآت عسكرية ونقوش حجرية والتي مرت عليها فترة زمنية معينة، أما التراث المادي الطبيعي فيقصد به المعالم الطبيعية المؤلفة من التشكيلات الفيزيائية والبيولوجية(المحميات الطبيعية والتشكيلات الرسوبية)، والتراث غير المادي هو تراث غير ملموس ويشمل كل التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، وأنواع الفنون والممارسات الاجتماعية، والطقوس والاحتفالات، ومن أنواع التراث غير المادي اللغة، الحكايات، الأمثال، الأدب الشعبي، الموسيقى، الغناء، الأزياء، والحرف التقليدية، والعادات والتقاليد.[1]

ولا شك أن تأثير العثمانيين المادي واللامادي في مختلف مناحي الحياة باقي إلى يومنا هذا، فقد تركوا بصمة في العادات والتقاليد التي جلبوها معهم وظهرت في المأكل والمشرب والملبس....ولعل من أشهرها حلوى البقلاوة التي لا زالت حاضرة في أفراح الجزائريين ومناسباتهم إلى اليوم، كما بقيت بعض فنون اللباس والتطريز التي امتزجت مع عادات الجزائريين في الملبس،[2] ومن أشهرها القفطان والذي يصنع بإسطنبول يرسله السلطان

---

[1] شهرزاد رفاف، "التراث اللامادي العثماني في الجزائر دراسة تاريخية أنثروبولوجية"، **حوليات جامعة الجزائر 1**، مج.34، ع.5، جامعة الجزائر 2020، ص-ص.864-867

[2] للتوسع في الموروث الثقافي العثماني ينظر: منصور درقاوي، **الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين 10 هـ-13 هـ/16م -19 م بين التأثير والتأثر**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أحمد ةبن بلة، الجزائر، 2014-2015

العثماني لكبار الحكام بالجزائر كشعار لتسليم الحكم، وهو نوع من الملابس الخارجية الذي كان السلطان يكسيه لموظفيه أو ولاته أو وزرائه معربا عن رضاه عنهم، وبالإضافة للمأكل والملبس هناك مخزون من الكلمات ذات الأصل العثماني، والتي تسربت للهجة الجزائرية، وأشارت بعض الدراسات إلى بقاء 634 كلمة من أصول تركية وفارسية باقية في العامية الجزائرية، كلمات تشير إلى رتب عسكرية، ووظائف إدارية، وحرف، وأسماء تخص الأكل واللباس بالإضافة إلى متنوعات أخرى، ولا ننسى أيضا الأمثال العثمانية المستخدمة في الجزائر.[1]

2المصادر المادية:

أثّر التواجد العثماني في الجزائر على العمارة الجزائرية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، فبشكل مباشر كانت الخلافة العثمانية ترسل مهندسين معماريين إلى الجزائر، وأيضا عن طريق التجارة كاستيراد مواد بنائية من تركيا، أما بشكل غير مباشر فكان عن طريق الوجهاء الجزائريين الذين قاموا بزيارة إسطنبول ونقل التصميمات العثمانية وطرزها في الزخرفة وإدخالها في فن العمارة الجزائرية، هذا التأثير جعل البعض يرى مدينة الجزائر مشابهة للمدن الساحلية العثمانية من حيث الشكل العام، كونها بنيت تحت إشراف عثماني لدرجة أنها اعتبرت من حيث التصميم صورة مصغرة عن إسطنبول، ومن أكثر المدن تأثرا بطابعها مقارنة مع مدن الشمال الإفريقي، وتمثل التأثير العثماني في عدة مظاهر ما زال بعضها موجودا إلى يومنا هذا.[2]

شّيد العثمانيون عددا من القصور والمنازل والمساجد....وما بقي منها إلى يومنا هذا يعد مصادر مادية لأهل التخصص خاصة علم الآثار الذي يعد من العلوم المساعدة لعلم التاريخ، وتوزعت القصور مثلا على عدة مدن، ففي مدينة الجزائر (دار السلطان)توجد عدة قصور كقصر عزيزة، وقصر حسن باشا، وقصر خدوج

[1] إبراهيم سعيود، "تأثير الوجود العثماني في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية"، **مجلة الدراسات التاريخية**، مج.16، ع.2، جامعة الجزائر 2، 1 ديسمبر 2015، ص-ص.158-161

[2] سامية بن قويدر، "مظاهر التأثير الحضاري العثماني على عمارة مدينة الجزائر"، **مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية**، مج.14، ع.5، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 31 ديسمبر 2022، ص.73

العمياء، وقصر مصطفى باشا، ودار الحمراء، ودار عبد اللطيف وقصر البايات، وقصر الداي في أعلى القصبة وغيرها، وفي معسكر أنشأ الباي محمد الكبير قصرا قد يكون هو ما يعرف بداي الباي، وفي مستغانم بنى الباي بوشلاغم قصرا، كما شيد العثمانيون دار الباي في كل من المدية وملیانة، وشيد الحاج أحمد باي قسنطينة قصرا له فيها،[1] وبالإضافة للقصور هناك المساجد بفنها المعماري كمسجد "بتشين" الذي بني عام 1922 م من طرف الرايس علي بتشين، جامع كتشاوة الذي أعيد بناؤه ما بين سنتي 1794-1795، الجامع الجديد الذي بني 1660م وسمي أيضا بجامع الحواتين، كما تم بناء الحصون، دار البارود، ديار الفحص(وهي الديار المبنية في ريف مدينة الجزائر)، الأضرحة، الحمامات، الثكنات العسكرية(أو القشلة مكان إقامة الجيش الانكشاري)[2] وبالإضافة لمختلف المباني تعتبر أيضا الأسلحة والمدافع من المصادر المادية للعهد العثماني في الجزائر، والنقود والعملة بصورة عامة التي كانت متداولة خلال العهد العثماني والتي ضربت في الجزائر بمختلف دور الضرب منها تلمسان والجزائر، تعد أيضا من المصادر المادية، وبقيت محفوظة في المتاحف الوطنية على غرار متحف سيرتا بقسنطينة، ومتحف زبانة بوهران...[3]

[1] عبد القادر دحدوح، "التخطيط المعماري للقصور بالجزائر خلال الفترة العثمانية"، **دفاتر البحوث العلمية**، مج.11، ج.2، المركز الجامعي بتبازة، الجزائر، 17 جانفي 2024، ص.142.

[2] سامية بن قويدر، المقال السابق، ص-ص.73-86

[3] هناك العديد من الدراسات الأثرية حول العملة منها: يمينة درياس، **السكة الجزائرية في العهد العثماني**، دار الحضارة، الجزائر، 2007

المحاضرة الرابعة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية

ثانيا المصادر المكتوبة(المدونة):

1الأرشيف(الوثائق):

تعريفه: الأرشيف من الناحية اللغوية مصطلح يوناني الأصل، وهو مشتق من كلمة archion"أرشيون""أرخيون" أو arche "أرخ"، وكلمة أرشيف تاريخيا تدرجت في المعاني والاستخدام، فكلمة الأرشيف قد تعني مبنى الإدارة واستخدم هذا اللفظ في تسمية مستندات الإدارات الحكومية والمؤسسات، وقد تطورت كلمات كثيرة لمعنى الأرشيف لها صلة بالمعنى الأصلي، فقد تعني القديم، أو البدائي، أو العتيق، وهي على هذا الاستخدام إلى اليوم، والثانية بمعنى المكان الأول أو القوة، أو الحكومة، أو السلطة، ومع التطور صارت تعني المكان الإداري أو الحكومي...ولها معنى مقر أو مكتب رئيس القضاة أو مجلس الشيوخ، وفي المقاطعات الصغيرة كانت تطلق على مبنى مجلس المدينة و على سبيل الجمع استخدمت الكلمة بمعنى الوثائق والمستندات العامة المحفوظة في مجلس الشيوخ أو مجلس المدينة.[1]

كما أطلق المصطلح على سجلات الحكومة ووثائقها، أي الأرشيف العمومي، كما استعملت الكلمة للدلالة على المكان arche الذي كان يحوي الوثائق العمومية في القرن الخامس قبل الميلاد، وتسمى أيضا أرشيفوم archivum باللاتينية، أرشيف archivأو ريكوردس records بالإنجليزية، وأرشيف أو وثائق أو محفوظات باللغة العربية، ورغم كثرة التعريفات الاصطلاحية إلا أنها عموما متقاربة في المحتوى أو المضمون، فقاموس "لاروس الفرنسي عرف الوثائق الأرشيفية بأنها "شهادات قديمة، مواثيق، مخطوطات ووثائق أخرى من الورق ذات أهمية، ويطلق نفس المصطلح على المكان الذي تحفظ به."، وفي قاموس "روبير": الوثائق الأرشيفية

[1] جمال الخولي، **الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق**، تقديم: محمد فتحي عبد الهادي، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص-ص44- 45 ويراجع أيضا: محمد قبيسي، **علم التوثيق والتقنية الحديثة**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982.

تعرف بأنها المستندات والوثائق ذات الأهمية، ويشير نفس المصطلح إلى المكان الذي توضع به أو تحفظ به، أما الموسوعة العالمية فالأرشيف عندها هو مجموعة من الوثائق الناتجة عن نشاط هيئة أو شخصية مادية أو معنوية، وهنا أصبح يتم ربط الأرشيف بالهيئات من إدارات ومؤسسات، ونشاطاتها، وبما تنتجه إثر ذلك من وثائق ومستندات، وحدد القاموس الموسوعي لعلوم المعلومات والاتصال "الوثائق المحفوظة في مكان من أجل إيجاد معلومة أو مرجع، أو عقد قديم تمثل أرشيفا"، ومن بين تعريفات الأرشيفيين نذكر تعريف البريطاني "هيلاري جنكيسون" الذي اعتبر أن "الأرشيف يكوّن مجموعة الوثائق المنتجة أثناء ممارسة النشاط، والذي هو جزء منه."، أما "جون فافيي" الأخصائي الأرشيفي فالأرشيف عنده "هو مجموعة الوثائق المستلمة أو المكونة من طرف أي شخص مادي أو معنوي، أو من طرف هيئة عمومية أو خاصة، منظمة من أجلها، ومحفوظة من أجل استعمال لاحق." ، وعرفت جمعية الأرشيفيين الفرنسيين الرصيد الأرشيفي بكونه مجموع وحدات مختلفة الأنواع، والمجموعة من طرف أي جهاز إداري أو أي شخص مادي أو معنوي في إطار أعماله أو نشاطاته.[1]

وعرّف قاموس البنهاوي الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات الأرشيف بأنه:"عبارة عن مجموعة منظمة من السجلات والملفات التي تخص أو تتعلق بإحدى المنظمات أو المؤسسات أو الهيئات."[2]

وورد في قاموس مصطلحات الوثائق الأرشيفية لسلوى علي ميلاد أن لفظ الأرشيف يستخدم في اللغة الفرنسية وعند الأمريكيين بصيغة الجمع ويطلق "على الوثائق غير الجارية[3] لهيئة أو إدارة أو ديوان (المحفوظات)والمحفوظة لقيمتها التاريخية الدائمة، وتسمى أحيانا المواد الأرشيفية، أو المحفوظات، وهي مجموعة

[1] فوزية فاطمة ختير، **الأرشيف ومهنة الأرشيفي في الجزائر دراسة ميدانية في الغرب الجزائري**، رسالة دكتوراه في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة بن بلة، وهران، 2015، ص-ص.43-44

[2] عبد العزيز خليفة شعبان، **المعجم الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات**، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص.11

[3] عكسها الأرشيف الجاري أو الوثائق الجارية، وهي المحفوظة في الإدارات الأصلية التي أنتجتها، ومازالت تستخدم للحاجة إليها في العمل. ينظر: سلوى علي ميلاد، **قاموس مصطلحات الوثائق الأرشيفية عربي-فرنسي-إنجليزي**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1982، ص.9

وثائق تسلمتها أو وضعتها شخصية معنوية أو مادية عامة أو خاصة، ومقدرا لها بطبيعتها أن تحفظ بواسطة هذا الشخص نفسه أو الهيئة، على أن يكون قد أحسن تنظيمها."[1]وأضافت أن الأرشيف يطلق أيضا[2]:

– الإدارة المسؤولة عن اختيار وحفظ وتسهيل استعمال الوثائق وتسمى كذلك دار الأرشيف أو دار الوثائق أو دار المحفوظات.

–يطلق على المبنى أو جزء من المبنى الذي تحفظ فيه الوثائق، كما يطلق على المخزن (مخزن الأرشيف أو المستودع).

ومن تعريفات الأرشيف أيضا: هو ذلك الجزء من المحفوظات الذي له قيمة إدارية أو تاريخية أ اقتصادية أو قانونية أو اجتماعية، وأودع في المؤسسات الأرشيفية حيث نظم بالشكل العلمي الذي يجعله صالحا للاستخدام من قبل الباحثين، وهو أيضا مجموعة من الوثائق القديمة المحفوظة من أجل كتابة التاريخ أو من أجل إثبات الحقوق العامة والخاصة، وعرفه "شلنبرج Schellenberg بأنه مجموعة الوثائق الناتجة عن نشاط أي مؤسسة عامة أو خاصة، والتي أقبرت لتحفظ داخل المؤسسة الأرشيفية بصورة دائمة بغرض الرجوع إليها، وعرفه "بوجينيو"بأنه "التجمع الذي يكون منظما للوثائق الناتجة عن فعالية ونشاط الدوائر والمؤسسات والأشخاص التي تقرر حفظها نظرا للأهمية التي تتضمنها سواء من الناحية السياسية أم القانونية لتلك الدوائر والأشخاص."، وحسب بعض الدراسات فإن أحسن تعريف حديث للأرشيف هو تعريف "شارل سامران CHarle Samaran"الأستاذ بمدرسة الوثائق بباريس والمدير لدار الوثائق القومية بها، والذي قام بالإشراف على تأسيس المجلس الدولي لدور الوثائق التابع لهيئة اليونسكو وعلى إصدار مجلاته الدورية المسماة Archivum والتعريف

[1] المرجع نفسه، ص.9

[2] المرجع نفسه، ص.9

هو:"الأرشيف هو كل الأوراق والوثائق المكتوبة الناتجة عن نشاط جماعي أو فردي، شرط أن تكون قد نظمت ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة في البحث وبشرط أن يكون قد أحسن حفظها بداخل منظمة واحدة."[1]

وعرف النص القانوني 88-09 الصادر في 26 جانفي 1988 في الجزائر الأرشيف، في مادتيه الثانية والثالثة، المادة الثانية ورد فيها أن: الوثائق الأرشيفية هي عبارة عن وثائق تتضمن أخبارا مهما يكن تاريخها أو شكلها أو سندها المادي، أنتجها أو استلمها أي شخص كان طبيعيا أو معنويا أو أية مصلحة أو هيئة عمومية كانت أو خاصة أثناء ممارسة نشاطها."، والمادة الثالثة ورد فيها:"يتكون الأرشيف بمقتضى هذا القانون من مجموع الوثائق المنتجة أو المستلمة من الحزب أو الدولة والجماعات المحلية والأشخاص الطبيعيين أو المعنويين سواء من القطاع العام أو الخاص، أثناء ممارسة نشاطها، معروفة بفوائدها أو قيمتها سواء كانت محفوظة من مالكها أو حائزها أو نقلت إلى مؤسسة الأرشيف المختصة."، وقد عاب بعض المختصين هذا التعريف لعدم شموليته وتركيزه على الحزب الواحد، لكن رغم ذاك لا زال ساري المفعول.[2]

وشاع استعمال كلمة أرشيف من اليونانية إلى بقية اللغات، ففي الفرنسية Archives،(على صيغة الجمع) وفي الإيطالية Archiva، في الهولندية Archeif، في الألمانية Archie،[3]ودخلت كلمة الأرشيف للغة العربية أيضا[4] فرسمت بالحروف العربية لكن نطقت على الأرجح نطقا فرنسيا، في أغلب الدول العربية، مما يؤكد

---

[1] نقلا عن: رميساء بن جميل، عفاف المعادي، **الأساليب الحديثة لتسيير الأرشيف الولائي: نحو إعداد خطة نموذجية لرقمنة أرشيف ولاية قالمة**، مذكرة ماستر، تخصص علم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات وعلم المكتبات جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2019-2020، ص-ص.22-23

[2] فوزية فاطمة ختير، المرجع السابق، ص.45

[3] رميساء بن جميل، عفاف المعادي، المرجع السابق، ص. 21

[4] كلمة أرشيف كانت ولازالت موضع جدل ونقاش حول مدى ارتباطها باللغة العربية ففي حين رفضها البعض هناك من قبلها وهناك من ذهب إلى أن لها جذور في اللغة العربية وتم تطويع اللفظ باشتقاق الأفعال الثلاث: أرشف للماضي، يؤرشف للمضارع، أرشف للأمر، ويطلق الأرشيف عن السجلات غير الجارية المحفوظة بترتيب معين أو بدونه...كما تطلق على دار الأرشيف وهي المؤسسة المسؤولة عن تزويد وحفظ وصيانة وتسهيل تداول الأرشيف...وتطلق على المبنى أو جزء منه وهو مخزن الأرشيف ممن يحفظ فيه الأرشيف.للمزيد ينظر: فتيحة قوميد، "مصطلح "الأرشيف"في بعض معاجم المصطلحات الأرشيفية العربية"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، مج.15، ع.2، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 21 مارس2014، ص-ص.249-266

احتمال انتقال الكلمة من اللغة الفرنسية دون اللغات الأخرى، خاصة تلك البلدان التي خضعت للاستعمار الفرنسي، ولأهمية الأرشيف ظهر علم خاص به يسمى غالبا علم الأرشيف، أو الأرشيفستيك، أو الأرشيفستيقا، أو أرشيفيلوجي...ومن الباحثين من اكتفى بكلمة الأرشيف فقط، واختلفت نظرة الشعوب للأرشيف فنظر الفرنسيون للأرشيف على أنه كل لا يتجزأ منذ إنتاجه أو استلامه من طرف شخص طبيعي أو معنوي أثناء تأدية مهامه إلى غاية الاحتفاظ به لمدة غير محدودة، ونتج عن ذلك عدم وجود عدة مصطلحات للتعبير عن **مختلف مراحل حياة الوثيقة**، أما الدول الأنقلوسكسونية فدورة حياة الوثيقة عندها تنقسم إلى قسمين: الأول يخص الوثائق النشطة والنصف نشطة ذات القيمة الأولية، ويسمى "الروكور ماناجمنت records mangement"، أما الثاني فيتعلق بالوثائق التاريخية (وهذا ما يهم المؤرخ)التي تم الاحتفاظ بها لأهميتها وقيمتها الثانوية وهي التي تسمى أرشيف، أما نظرة كندا يبدو أنها حاولت الجمع بين النظرتين من خلال ما سمته علم الأرشيف الشامل أو المدمج.[1]

رغم كثرة التعريفات وتنوعها لمصطلح الأرشيف لكن اشتركت في كونه يمثل الوثائق التي أنتجت في مرحلة معينة من طرف أشخاص طبيعيين أو معنويين، وبعد أن أدت وظيفتها التي أنتجت من أجلها ولأهميتها، يتم الاحتفاظ بها في دور الأرشيف بصورة رسمية ومنظمة، أو يحتفظ بها أصحابها على مستواهم الشخصي، **و يبدو أن الوثائق** هنا مرادف عند المؤرخين لكلمة الأرشيف، والوثائق من المصطلحات التي يضيق معناها ويتسع، واستخدمها بعض المتخصصين بمعنى المصادر، مصدرها اللغوي بالعربية من "وثق به وثاقة وثقة أي ائتمنه، والوثاقة مصدر الشيء المحكم الوثيق، والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة."، وفي اللغة الأجنبية تستخدم الوثيقة بمعنى "أداة" و"بينة مكتوبة صحيحة"يثبت بها أي فرد حقه، وغلبت فكرة "الصحة والإحكام" في القرن

[1] رقية بحوصي، "علم الأرشيف أو الأرشفستيك مفهومه ونشأته وتطوره"، **عصور**، مج.15، ع.1، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 30جوان 2016، ص-ص.340-342

العشرين على فكرة النص المكتوب، ولم تعد الوثيقة تشير إلى ما هو مكتوب فقط لكن الوثيقة حسب بعض المؤرخين هي"جميع الآثار التي خلفتها أفكار البشر القدماء وأعمالهم."، ومع الوقت اتسع معنى الوثيقة حتى أصبحت الكلمة تعني عند المؤرخين "كل ما يمكن أن يكشف لنا شيئا عن ماضي الإنسان."، وأكد المؤرخ "لوسيان فيفر": "أن التاريخ دون شك يصنع بالوثائق المكتوبة إذا ما وجدت، ولكن يمكن أن يصنع بكل ما يمكن أن تسمح للمؤرخ براعته باستخدامه...أي أنه يصنع بكلمات أو إشارات، بمناظر طبيعية، وبقرميد الأبنية، وبأشكال الحقول والأعشاب الضارة، ويصنع بخسوفات القمر وأحزمة ربط الحيوانات، بل يصنع كذلك بالأحجار التي يكشفها الجيولوجيون، وتحاليل السيوف المعدنية التي يجريها الكيماويون."وحسب هذا التوجه فمفهوم الوثيقة شامل واسع لا حد له إلا ما رسمه المؤرخ في ذهنه،[1]وعلى هذا الأساس قد تتسع الوثيقة لتدل على كل أنواع المصادر التاريخية، وقد يضيق معناها لتدل على ما هو مكتوب فقط، ودون الغوص في التفاصيل الدقيقة الأرشيف والوثائق التاريخية يشتركان في المعنى، فعند إطلاق كلمة الأرشيف في الدراسات التاريخية المقصود به الوثائق التاريخية(رسمية وغير رسمية) والعكس صحيح، دون تحديد شكل معين فقد تكون مراسلات، أو معاهدات، أو اتفاقيات، أو وثائق محاكم شرعية، أو سجلات لمختلف المؤسسات الرسمية وغير الرسمية....

2أهمية الأرشيف: يعد الأرشيف بالنسبة للدراسات التاريخية اللبنة الأساسية لها، لأنه يعكس ذاكرة الشعوب والأمم وخزانها عبر العصور، بشرط مراعاة الحفظ الجيد له، والدول المتقدمة تولي أهمية بالغة للحفاظ على أرشيفها وصيانته بتوفير مؤسسات خاصة تحتوي على الشروط المناسبة والضرورية للحفظ والإطلاع عليه من طرف الباحثين، ويمكن إبراز أهمية الأرشيف في الدراسات التاريخية في النقاط التالية:[2]

[1] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص-ص.151-152

[2] عبد الباقي بركاني، "الأرشيف الجزائري المحفوظ في دور الأرشيف الوطني التونسي ودوره في كتابة تاريخ الجزائر"، **مجلة بيليوفيليا لدراسات المكتبات والمعلومات**، مج.3، ع.1، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، 2021، ص-ص.124، 126-127

–له قيمة تاريخية كبيرة، ويمكن الاعتماد عليه لإنجاز العديد من الدراسات والبحوث الجادة باعتباره مادة أولية، وبالاعتماد عليه يتم دراسة الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لفترة تاريخية معينة، فالأرشيف هو المادة الخام التي يستمد منها أغلب المؤرخين معلوماتهم، لتكوين فكرة عن الوقائع الماضية، وبهذا تظهر أهميته لأنه يحمل أخبار وتفاصيل الماضي، وهو يتفوق عن الروايات والمذكرات والأخبار الشفوية.

–يوفر الأرشيف المعلومات للباحثين الجامعيين خاصة في ميدان التاريخ، والخواص وكذا معاهد البحث العلمي، كما يسهل لهم مهمة الاطلاع على المعلومات بحسن الحفظ والترتيب والتقديم.

–يعد الأرشيف شاهدا على ما قامت به المصالح الإدارية على اختلاف أنشطتها، فمن خلاله يمكن تقييم ورصد منجزاتها ونجاحاتها وإخفاقاتها، فهو خزان للمعلومات ولمختلف الأنشطة الإدارية، وكما هو معلوم فالوثيقة تكون نتيجة لنشاط معين وتكتسب قيمة عملية وإدارية، لكن بعد فترة من الزمن تتغير تلك القيمة وتنتقل الوثيقة لمرحلة جديدة–إذا ثبتت أهميتها–وهي مرحلة القيمة التاريخية.

3الأرشيف العثماني وأهميته في كتابة تاريخ الجزائر:

تكونت الوثائق الأرشيفية العثمانية بالجزائر نتيجة تسجيلات مستمرة، لأوامر وتعليمات وملاحظات كانت تصدر عن حكام الأيالة، وموظفي البايلك، أو ترد عليهم من سلاطين الباب العالي وموظفيه، كما أنتج قسم منها عن نشاط وكلاء الأيالة بالخارج أو قناصل وتجار الدول الأوروبية المقيمين بالجزائر، وكان من نتائج تشكل هذه الوثائق الأرشيفية تداخل المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كثير من هذا الأرشيف، وأصبح الباحث في مجال تاريخ الجزائر العثمانية أمام حقيقة ثابتة وهي وجوب الرجوع إلى هذا الأرشيف أينما كان، حيث لا يمكن الاستغناء عنه، واكتسب الأرشيف العثماني الخاص بالجزائر سواء الموجود حاليا بالجزائر، أو المحفوظ في إسطنبول، أو الموجود بالأرشيفات الأوروبية، أهمية خاصة لأنه يعد المصدر الأساسي لكتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، فهو يقدم للباحث المادة الخام، وفي الوقت نفسه هو العمود الفقري حسب بعض

الباحثين في عمل تاريخي جاد، وتزداد قيمة هذا الأرشيف إذا علمنا أن الفترة العثمانية في الجزائر تميزت بقلة الإنتاج التاريخي المخطوط، فكان الأرشيف مصدرا هاما وقد يكون الوحيد لبعض المواضيع، احتوى على مادة علمية تاريخية ثرية، ومتنوعة، اهتمت بالحياة السياسية والمسائل الإدارية والقضايا الشرعية، ومست من قريب أو بعيد مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية للأيالة.[1]

وأكد المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أنه إذا أراد الباحث الجزائري الوصول إلى تصور متكامل والتخلص من اجترار المعلومات التي تضمنتها المصادر التقليدية المحلية والأجنبية، والوصول إلى دراسات مبتكرة في تناولها للمواضيع والإشكاليات التاريخية، فيجب عليه قبل كل شيء العودة إلى الأرشيفات الجزائرية الخاصة بالفترة العثمانية، لأنها وحدها القادرة على تزويده بالمعلومات الكافية عن مختلف الجوانب التي ظلت لفترات طويلة غامضة، أو غير محددة رغم أهميتها، مثل مصادر الدخل ونظام الجباية وأوجه الإنفاق وجرايات الجند ومداخيل الأملاك العامة والخاصة وتطور التبادل التجاري على المستوى الداخلي والخارجي، وتنظيمات الجمارك وبيت المال والدرزية والعملة ومظاهر النشاط الاقتصادي والعسكري والإداري وحالة السكان وتطور الحياة الثقافية والفكرية والاجتماعية، ولاحظ ناصر الدين سعيدوني أن هناك إهمالا واضحا وتجاهلا لودائع الأرشيف الجزائري، وما استغل من الأرشيف الخاص بالفترة العثمانية تركز في الوثائق الغربية خاصة الفرنسية منها الموجودة على مستوى الأرشيفات الفرنسية، وما استغل بصورة عامة من الأرشيفات الأوروبية لا يتجاوز في الواقع العلاقات الدبلوماسية ومعاهدات السلم والملاحة والمبادلات التجارية والامتيازات الجمركية، بينما الجوانب المهمة من أحداث داخلية ونشاط اقتصادي وعلاقات اجتماعية لا تجد لها إلا عرضا موجزا، وتناولا سطحيا...مما دفع الكثير من الباحثين إلى الاعتماد أساسا على الكتب المطبوعة والتقاييد الأوروبية المنشورة، فتكاد لا تجد أي

[1] مختار ناير، "أهمية الأرشيف العثماني بالجزائر في الكتابات التاريخية"، **المرآة للدراسات المغاربية**، مج.3، ع.1 ، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، جوان 2017، ص-ص.93-94

كتاب تعرض لتاريخ الجزائر قبل الاحتلال، ولم يعتمد على ما كتبه الرحالة والتجار ورجال الدين والقناصل ومبعوثو الدول الأوروبية ابتداء من هايدو وانتهاء بشالر.[1]

ويجد المتخصص والباحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني أمامه عددا كبيرا من الوثائق المهمة موزعة على دور الأرشيف داخل الوطن وخارجه، ففي داخل الوطن تتوزع الوثائق خاصة على **المكتبة الوطنية الجزائرية**، وتتمثل في تلك الملفات المحفوظة **بقسم المخطوطات** والمتضمنة لعدد هام من **المراسلات والتقارير** التي تتناول مواضيع متنوعة، فهي تحتوي على رسائل وصلت إلى حكام الأيالة الجزائرية من الوكلاء المكلفين بتجنيد المتطوعين من مختلف المناطق العثمانية، إلى جانب رسائل من البايات وقادة الجيوش في أرجاء الأيالة، كما تحتوي على رخص عطل للجنود لزيارة أهاليهم، فبدونها يعتبر الجندي هاربا ويتعرض للعقاب، إضافة إلى قوانين تتعلق بالنظام الداخلي للجيش أو ما يسمى عهود الأمان، كما توفر لنا تفاصيل دقيقة حول كيفية تجنيد المتطوعين وأعدادهم، وقد قام الباحث الأستاذ خليفة حماش بتنظيم هذه الوثائق في ملفات وأعطى لكل وثيقة ملخصا، ونشر عمله في المجلة التاريخية العربية للدراسات التاريخية،[2] كما نجد بالمكتبة الوطنية **سجلات رواتب الإنكشارية**، وهي عبارة عن دفاتر ضخمة تتعلق بأمور عسكرية، تتضمن أسماء الجنود، رواتبهم، رتبهم، أصولهم، ثكناتهم، وكان المستشرق الفرنسي "جون دوني J.Deny"قد أنجز دراسة عام 1920م حول هذه السجلات ونشرها بالمجلة الإفريقية (revue Africaine).[3]

[1] ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، مج.3، ع.2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1988، ص-ص.111-112

[2] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ العسكري لأيالة الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، مج.9، ع.12، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 15 جوان 2005، ص.295

[3] محمد بوشنافي، "الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني"، **مجلة مواقف**، مج.6، ع.1، جامعة معسكر، الجزائر، 31ديسمبر 2011، ص.295

يعتبر الأرشيف الوطني الجزائري ببئر خادم، مخزنا لعدد هام من الوثائق حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، والتي تعد مصدرا ثمينا للباحثين، وسنخص بالذكر أرصدته لتعريف الطالب بها وبأهميتها، فالأرشيف الوطني الجزائري يتكون من ست(6)[1] مجموعات مختلفة من حيث طبيعة محتواها، والجهة التي قامت بتدوينها:

المجموعة الأولى: سلسلة سجلات المحاكم الشرعية وتشكل رصيدا هاما يضم مائة وأربع وخمسين(154)علبة حسب تقدير الأستاذة عائشة غطاس رحمها الله، في حين قدرها الأستاذ ناصر الدين سعيدوني بمائة واثني وخمسين(152)علبة، لكن حسب بعض الدراسات الحديثة فإن رئيسة مصلحة تبليغ الأرشيف أكدت أن عدد العلب المتوفرة اليوم في المركز هي مائة وثلاث وخمسين(153)علبة، مما يطرح التساؤل والشك هل فقدت علبة من العلب أو ماذا؟ وتضم العلبة الواحدة من العلب الموجودة أكثر من مائة وثيقة، وقد يصل بعضها إلى الضعف ويزيد، وتغطي هذه السلسلة الإطار المكاني الذي يشمل مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها، بالإضافة إلى بعض المدن الأخرى مثل: البليدة، المدية، مليانة، أما الإطار الزماني للسلسلة فيمتد من النصف الأول من القرن السادس عشر إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحديدا من 1592-1856م، ويتعلق أغلب وثائق هذه المجموعة بقضايا الأوقاف، والملكيات الخاصة وما يتصل بها من معاملات البيع والشراء، والخصومات، وإثبات النسب، وتسجيل عقود الزواج والطلاق، وتحديد الصداق والإرث، والهبة

[1] حسب الدراسات المبكرة حول الأرشيف العثماني بالجزائر أشار سعيدوني إلى خمس(5)مجموعات متميزة بموضوعاتها وطبيعة مادتها، وتكلم عن الأولى المعروفة سجلات بيت المال، والثانية تطلق عليها تسمية دفاتر البايلك، والثالثة وتتكون من ثائق المحاكم الشرعية، والمجموعة الرابعة وهي عبارة عن وثائق مصورة من دور أرشيفات إسطنبول...وعرف بكل مجموعة ومحتوياتها للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري..."، المقال السابق، ص-ص.112-113

والشفاعة، وسجلت هذه الوثائق الإدارية من طرف القاضي[1]، الذي كان مسؤولا عن كل المعاملات الاجتماعية، ويمكن ملاحظة أن بعض علب هذه السلسلة يحمل ترقيما مزدوجا.[2]

ووثائق هذه السلسلة مودعة بخزائن أرشيف الحكومة العامة للجزائر مع القسم الخاص بالسجلات العربية التركية، ورتبت من طرف الموثق "غبريال إسكير" (Gabriel Esquer)في آخر القائمة فصنفت في حرف زاد، وكانت المحاكم الشرعية تسجل معلومات دقيقة جدا في جميع التعاملات لدرجة يستطيع الباحث أن يعد خارطة برسم البيوت والحارات والأزقة، بحيث تذكر السجلات جيران البيت من الجوانب الأربعة، أما اللغة المتداولة في سجلات المحاكم الشرعية فهي اللغة العربية محفوظة في بطاقات خاصة "الميكروفيش"أو المصغرات الفلمية، وتحتل سلسلة الوثائق الشرعية أهمية بالغة لأنها تصور الطابع الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والتطور التاريخي للجزائر خاصة القرن الثامن عشر،[3] ومن بين ما تشير إليه أن كثيرا من الباشاوات والجنود قد أوقفوا ممتلكاتهم من بيوت ودكاكين ومقاهي...للإنفاق على الجنود، وصيانة الثكنات والأبراج والحصون، ويحتمل أن استغناء الكثير منهم عن الزواج وراء ذلك، فعاشوا حياتاهم عزابا ولم يكن لهم ورثة يرثونهم بعد الموت.[4]

ورغم ما هو موجود من سجلات المحاكم الشرعية، إلا أن عقود السنوات الأولى من هذه السجلات نادرة، وذلك راجع للاستعمار الفرنسي الذي عاث فسادا في الأرشيف[5]، ويبدو أن ذلك مرتبط بمدى أهمية هذه

---

[1] أو موثقي المحكمة المالكية والحنفية، ينظر محمد بوشنافة، "الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني"، المقال السابق، ص.295

[2] حبيبة عليليش، "الأرشيف الوطني الجزائري مصدر فريد لدراسة تاريخ الجزائر إبان الفترة العثمانية"، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، مج.14، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1 نوفمبر 2018، ص-ص.43-44

[3] صليحة بوزيد، أهمية وثائق الأوقاف بسجلات المحاكم الشرعية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني مدينة الجزائر أنموذجا"، **مجلة الدراسات التاريخية**، مج.16، ع.2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1ديسمبر 2015، ص-ص.228-229

[4] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ العسكري لأيالة الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830"، المقال السابق، ص.293

[5] منذ السنوات الأولى للاستعمار سمحت الإدارة الفرنسية بأن يكون الأرشيف تحت سلطة رجالها، وكان الأرشيف العام والخاص من ضحايا فرنسا، وفي عام 1845م كلف رئيس أمانة الإدارة المركزية بمهمة حفظ الأرشيف، فقام بجمع ما كان موجودا ومحفوظا في المساجد والزوايا، وخزنها في مخازن مهيأة لذلك قبل تحويلها إلى باريس، بعد إنشاء وزارة الجزائر والمستعمرات في جوان 1860م، كما أتلفت عدة وثائق وبعثرت في عدة مدن بعد الاحتلال مباشرة 1830م، والباقي تأثر بالمعارك طيلة القرن 19م، وإلى غاية 1908م لم تتخذ أية إجراءات للحفظ"فأرشيف الإدارات كان متراكم

العقود، ولتتمكن فرنسا أيضا من تشويه وعدم ترك أي دليل يبين الملكيات الخاصة بصفة عامة، وحياة الجزائريين تحت الحكم العثماني بصفة خاصة.[1]

المجموعة الثانية: سجلات بيت المال وتحتوي على أربعة وستين(64)سجلا موزعا على إحدى عشر علبة(11)، وتتناول في مجملها الموضوعات المرتبطة بالدخل، الخراج، التركات، الوصايا، والأملاك، والضرائب، الوفيات والمعونة القبلية، كما تشمل وثائق هذه المجموعة على الأملاك الموقوفة، وعوائد المؤسسات الخيرية المشرفة عليها، بالإضافة إلى احتوائها على تسجيلات للأمانات، وودائع بيت المال، وقوائم بالأملاك العقارية، وأحكام خاصة بالتركات، وأقدم هذه الوثائق راجع لـ1111هـ/1699م، أما الفترة الزمنية التي تغطيها فهي تغطي الفترة الممتدة من 1648 إلى 1826م، وإطارها المكاني يضم مدينة الجزائر والأماكن القريبة منها، والقليل منها يتعلق بمدن جزائرية أخرى، وتم تصوير النسخ الورقية من هذه السلسلة في شكل مصغرات فلميه تعرف بميكروفيلم، لتوضع في جهاز يسمى قارئ الميكروفيلم.[2]

المجموعة الثالثة: سجلات البايلك ويطلق عليها أيضا تسمية **دفاتر البايلك**، وتضم ثلاثمائة وستة وثمانين(386)سجلا محفوظا أو موزعا على ست وثلاثين علبة، ومعظم وثائق هذه السلسة هي وثائق الوقف، بحيث نجد أن أغلب هذه الأخيرة قد سجلت على المؤسسات الخيرية، فالعديد منها موقوف على الحرمين

في قبو القصر القديم"في ظروف غير مناسبة، عرضة للغبار والتعفن والإقصاء المتعمد أحيانا، ويمكن القول أن التنظيم الموضوعي للأرشيف المركزي للجزائر لم يتم إلا عام 1908 م، حين تم بقرار إنشاء مصلحة الأرشيف، وكلف أرشيفي الحكومة العامة بإنجاز تحريات حول كل المخازن(ولائية، بلدية، أرشيف عسكري)وإعطاء تقارير حول طبيعة الوثائق المخزنة وحول إمكانية أو وجوب دفعها للحكومة العامة، وهذا ما تم بالفعل بدليل أن أطنانا من أرشيف الجزائر لازالت بفرنسا، وتحت الاستعمار الفرنسي تم إنشاء بنايات مخصصة لحفظ الأرشيف على مستوى القطاعات الجهوية وملاحقها وتميزت بصفة عامة بتعميم حفظ الوثائق، التي تنتجها الإدارات، وكان النمط المستعمل هو الترتيب بالسلسلات أو السلاسل les séries، حيث أن كل سلسلة ترتبط بموضوع وتنقسم بدورها إلى سلاسل فرعية les sous séries . ينظر: فوزية فاطمة ختير، المرجع السابق، ص-ص.51-52

[1] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص.45

[2] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص-ص.46-47

الشريفين مكة والمدينة، والجامع الأعظم،[1] وبالإضافة للمعلومات حول أملاك الوقف ومداخيله هناك معلومات حول التركات ونصيب بيت المال فيها، كما تعطينا تفاصيل حول مصاريف قصر الداي وكبار الضباط والجنود، وتبين لنا أن كثيرا من الجنود كانوا يمارسون التجارة إضافة إلى أجرتهم بهدف زيادة مداخلهم[2]، كما تتناول هذه السجلات الموضوعات ذات الطابع الإداري والاقتصادي وحتى الثقافي، وجداول لنفقات ومداخيل الخزينة، وتفيد القضايا المتعلقة بالمعاملات وتضبط أعمال المصالح الإدارية والخدمات الاجتماعية والاقتصادية كالضرائب، والمبادلات التجارية، داخل مدينة الجزائر وخارجها، وقسم مهم منها يخص القضايا والمعاملات الخاصة بعديد المدن مثل: البليدة، المدية، مليانة، مستغانم، شرشال، مازونة، تنس، أو بأوطان دار السلطان القريبة من مدينة الجزائر(سهل متيجة وما جاوره)، وتشمل أيضا سجلات وضعت من طرف السلطات الاستعمارية في السنوات الأولى للاحتلال في إطار القيام بإحصاء شامل للعقارات بالمدينة وخارجها، وأقدم وثيقة رصدت في هذه السجلات ترجع إلى 1085 هـ/1675 م.وأغلبها يرجع للقرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ميلاديين، ودوّن العديد من السجلات الخاصة بهذه المجموعة باللغة العصملية(العثمانية)، أما المتبقية فدونت باللغة العربية تتخللها مصطلحات عامية كانت متداولة في ذلك الوقت، والإطلاع عليها كسابقتها إذ صورت نسخها الورقية الأصلية على شكل ميكروفيلم، وتوضع في جهاز قارئ الميكروفيلم.[3]

المجموعة الرابعة: سلسلة بيت المال والبايلك وتضم مائة وواحد وعشرين(121)سجلا موزعا على ثلاثة عشر(13)علبة، وهي عبارة عن خليط بين وثائق بيت المال والبايلك في العلبة الواحدة، أي ضمن

[1] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص.47

[2] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ العسكري..."، المقال السابق، ص.294

[3] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص-ص.47-49

الميكروفيلم الواحد، أي أنها تتناول مواضيع مختلطة بين السلسلتين، كما أن هذه السلسلة محفوظة، وتقرأ مثلها مثل سلسلة بيت المال وسلسلة البايلك.[1]

المجموعة الخامسة: مهمة دفتري أو دفاتر مهمة ويضم تسعمائة وإحدى عشر(911)وثيقة، موزعة على ستة عشر(16)علبة، كل علبة تحتوي اثنان وثلاثين(32)وثيقة إلى سبعة وسبعين(77)وثيقة، ويوجد منها ثلاثمائة وتسع وسبعون(379)وثيقة مترجمة، وخمسمائة واثنان وثلاثون(532)وثيقة غير مترجمة، ورتبت هذه الوثائق داخل كل دفتر مهم، حسب رقم الأحكام الصادرة أي من أصغر حكم إلى أكبره دون مراعاة تاريخ الصدور، وهذه المجموعة هي عبارة عن وثائق مصورة من دور أرشيفات إسطنبول(خزانة قصر توبكابي وخزانة الباب العالي الرئيسة وخزانة وزارة الخارجية التركية)جمعها ورتبها الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله، في فهرس عام جمع في كتاب كبير يوجد نسخة منه الآن بالأرشيف الوطني الجزائري، وأغلب وثائق هذه المجموعة متعلق بالعلاقات الدبلوماسية والمراسلات الرسمية، بين الجزائر ومركز الخلافة العثمانية، أي أنها تخص جميع القرارات والفرمانات التي أصدرها الديوان السلطاني في إسطنبول ووجهها إلى الولاة، أو القضاة، أو العلماء ومشايخ المتصوفة، وحتى إلى الزعامات المحلية بالجزائر، ودونت معظم وثائق هذه الدفاتر باللغة العصملية(العثمانية)، وترجم القليل منها إلى اللغة العربية من طرف الأستاذين محمد داود التميمي وفكري طونا.[2]

المجموعة السادسة: خط همايون[3] ويضم ثلاثمائة وسبعة وأربعين وثيقة(347)موزعة على خمسة وثلاثين(35)علبة حسب تعداد الباحثة حبيبة عليليش، في حين أكدت رئيسة مصلحة تبليغ الأرشيف أن

[1] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص-ص.49-50

[2] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص-ص.50-51

[3] الخط الهمايوني(خطي همايون)هو الاسم الذي يطلق على الأوامر الصادرة من السلاطين وبكتابة أيديهم أو ماحرّره الكتاب وأمضاه السلطان، كما أنه يطلق على التعليقات المدونة من لدن السلاطين على الملخصات المقدمة من الصدور العظام، ويطلق كذلك على الأوامر الصادرة من السلاطين ابتداء، ويسمى هذا النوع الأخير الخط الهمايوني على الأبيض، أي الورق الذي لا يحتوي على أية كتابة، وقد سمي الخط الهمايوني بالخط الشريف أيضا.ينظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص.101

التقسيم الجديد يضم ثلاثة وعشرين(23)علبة[1]، تتضمن عرائض ومراسلات بين الباب العالي وحكومة أيالة الجزائر،[2] ويمكن القول عموما أن هذه المجموعة تتناول المواضيع نفسها التي تتناولها "دفتر مهم"السابقة الذكر، وهذه المجموعة أيضا جمع وثائقها الأستاذ أحمد توفيق المدني من دور أرشيفات إسطنبول[3](خزانة قصر توبكابي وخزانة الباب العالي الرئيسة وخزانة وزارة الخارجية التركية)، وتم فهرسة هذه المجموعة في بطاقات، كل بطاقة تحمل تلخيص لأمر أو فرمان معين، وتمّ تعريب وثائق مجموعة دفتر مهم وخط همايون من اللغة العصملية(العثمانية) إلى اللغة العربية، من طرف الأستاذين محمد داود التميمي وفكري طونا.[4]

وتجدر الإشارة إلى أن أهمية وثائق الأرشيف الجزائري الخاصة بالفترة العثمانية، جذبت إليها عددا من مؤرخي القرن التاسع عشر، فحاول بعضهم وضع فهارس لها مثل: "ألبير ديفو(1850)"، و"ج.دوني G. Deny1921م،"م. كولومبM.Colombe1943م، وأشاد بها كل "ألبير وأميريث"على أن ذلك لم يؤدي إلى نتيجة ملموسة، إذ بقيت ودائع الأرشيفات الجزائرية التي كانت معروفة بالوثائق العربية التركية، والتي أدرجت في آخر الفهرس الأبجدي، يعتريها الغموض ويحيط بها النسيان، ومما زاد الطين بله في إهمال هذا الرصيد هو ميول المؤرخين الفرنسيين تحت وصاية حكومتهم للقضاء على الفترة العثمانية في الجزائر، ورفضهم إعادة الاعتبار للفترة السابقة للاحتلال، وتجاوز مصادرها المحلية إلى المصادر والوثائق الفرنسية بصورة خاصة، والمصادر والوثائق الأوروبية بصورة عامة، فكان الإهمال من نصيب هذا الرصيد المهم، واستمر حتى بعد الاستقلال في ظل غياب الفهارس المفصلة لها والدراسات التحليلية لمضمونها وتحديد مصطلحاتها وحصر مادتها في جداول وفهارس

[1] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص.52.

[2] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ..."، المقال السابق، ص.294.

[3] حسب محمد بوشنافي صور الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله أكثر من ثلاثة ألاف وثيقة في تركيا ثم أحضرها للجزائر، وبعد ذلك قام الأستاذ فكري طونا بترجمة قسم كبير منها من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية، وهي سهلة القراءة خاصة وأنها كتبت بالآلة الراقنة.ينظر: محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ..."، المقال السابق، ص.294.

[4] حبيبة عليليش، المقال السابق، ص.52.

محددة ومضبوطة،[1] لكن يبدو الآن أن بعض هذه الملاحظات بدأ في معالجتها مجموعة من الباحثين على مستوى الجزائر وخارجها، من أجل تسهيل الإطلاع على أرصدة أرشيف الجزائر الخاص بالفترة العثمانية لأكبر عدد من الباحثين.

بقي أن نؤكد في الأخير بأن الأرشيف مهم جدا لدراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وعلى رأسه وثائق الأرشيف الجزائري، فهو مصدر لا غنى عنه، ومادة علمية أساسية للتعرف على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والفكرية والثقافية للجزائر في العهد العثماني، وعلى المتخصصين والباحثين الاعتكاف على قراءتها وبذل الجهد في تحليل مضمونها،[2] فهي من كنوز المعرفة.

[1] ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري..."، المقال السابق، ص-ص.113-114

[2] ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري..."، المقال السابق، ص.114

المحاضرة الخامسة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر الفترة العثمانية (تابع)

2المصادر(المؤلفات)المحلية والأجنبية:

2.1المصادر المحلية: رغم أن الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني في مجال التأليف والكتابة امتازت بقلة الإنتاج الفكري والأدبي، وطغى عليها الجمود والتقليد، إلا أن هذا لم يمنع من وجود حركة من التأليف باللغة العربية في عدة علوم، ويمكن أن نتكلم عن مصادر هذه الفترة ونقسمها إلى مادة مازالت في شكل مخطوطات وأخرى تم تحقيقها وأصبحت في متناول القراء والباحثين على شكل كتب مطبوعة، والمؤلفات التي ترجع للعهد العثماني منذ مطلع القرن السادس عشر مع بداية التواجد العثماني في الجزائر، وبقية القرون، تحتوي على مادة علمية هامة رغم النقائص والملاحظات التي تقال في حقها، مما يجعل عملية الاستغناء عنها أمرا مستحيلا، وإلى جانب المصادر العربية المحلية هناك المصادر العثمانية وأيضا التي كتبها الزوار الذين زاروا الجزائر من مختلف البلدان المجاورة، فهذه المصادر أيضا على اختلاف أنواعها وجنسيات مؤلفيها تحتوي بدورها على معلومات هامة حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني،[1] وصنفناها هنا على أنها من المصادر المحلية مقابل المصادر الأجنبية، وشكلت المخطوطات على اختلاف أنواعها، والرحلة، والشعر أهم المصادر المحلية للفترة العثمانية.

أولا لمحة عن المخطوطات: سبق تعريف المخطوط لكن نعيده هنا للحاجة: فالمخطوط هي كتب لم يتم طبعها بعد، ولا تزال بخط المؤلف أو غيره، أو أخذت عنها صور فوتوغرافية، لتودع كل صورة منها إحدى المكتبات العامة، التي تحرص على اقتناء المخطوط، وأكثر المخطوطات نادر الوجود، كما تعرضت المخطوطات للضياع والفقد كلها أو بعض أجزائها الهامة، لعدة أسباب سياسية أو اقتصادية، وقد توجد مخطوطات لكن تعرضت بعض صفحاتها للتآكل بفعل الزمن أو سوء الحفظ، وللمخطوطات أهمية بالغة في مختلف الدراسات

[1] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ العسكري..."، المقال السابق، ص.296

ومنها الدراسات التاريخية، فهي تحمل بين دفتيها مختلف المعارف والعلوم، ونتيجة أهمية المخطوط وتفطن دول العالم لذلك ومنها الدول العربية تم إنشاء مؤسسة تابعة لجامعة الدول العربية باسم"معهد إحياء المخطوطات"، مهمتها حفظ هذا التراث من الضياع ونقل صور من المخطوطات التي خرجت من البلدان العربية إلى البلدان الأجنبية، وحفظها في خزائن المعهد، ويقوم المعهد من حين لآخر بإرسال مندوبين متخصصين إلى بعض المكتبات الأجنبية التي تملك مخطوطات عربية فتصور بعضها، وتحفظ الأفلام في خزائن المعهد، للاستفادة منها، ومركز معهد إحياء المخطوطات في مبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة، وقد أصدر فهرسا مطبوعا لبعض المصورات المحفوظة في خزائنه.[1]

والعمل على المخطوطات له شروط وقواعد، كما أن المخطوطات أنواع فهناك المخطوطات التي دونت بخطوط مؤلفيها، ومخطوطات منقولة عن نسخة المؤلف، مخطوطات مؤرخة، مخطوطات بخطوط العلماء، مخطوطات وحيدة، مخطوطات مكتوبة على الرق، مخطوطات مكتوبة على الكاغد، المخطوطات الخزائنية، المخطوطات المصورة، المخطوطات الموقوفة...وقد وضعت خطوات جادة لعلم المخطوط خاصة لدراسة للمخطوط العربي والمخطوطات الإسلامية عامة،[2]والعمل على المخطوط له خطوات علمية كثيرة من جمع النسخ الخطية للمخطوط المراد تحقيقه، وترتيبها، فإذا انتهى من جمع النسخ وترتيبها وهي عملية جادة وشاقة انتقل بعدها إلى النص أو محتوى المخطوط، وتحقيق النص بدوره له خطوات أخرى لا يتسع المجال لذكرها هنا لكن نشير أنه إذا كان المخطوط من كتب التاريخ فبعد الانتهاء من عملية التحقيق سيستفيد المتخصصون من مادة علمية للفترة التاريخية التي يعالجها المخطوط.[3]

[1] عبد الرحمان عميرة، **أضواء على البحث والمصادر**، المرجع السابق، ص-ص.65-67

[2] يراجع أيمن فؤاد سيد، **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997، ص.3 وما بعدها

[3] للإلمام بخطوات التحقيق وشروطه يراجع: عبد الرحمان عميرة، **أضواء على البحث والمصادر**، المرجع السابق، ص-ص68-81

ثانيا لمحة عن الرحلة خلال العهد العثماني: عرف الإنسان الرحلة منذ القدم، وأدرك قيمتها فتنقل من مكان لآخر، وجمعت الرحلة بين عدة منافع تعود على صاحبها وعلى غيره، فكانت مدرسة للعلم والثقافة والتكوين النفسي والعلمي للرحال، حتى أن أحدهم خاطب الرحالة قائلا:"ارتحلوا...انطلقوا أيها الرحالة، فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدأ الرحلة."[1]والرحلة من الناحية اللغوية حسب ابن منظور بكسر الراء والرحلة بضم الراء والرحلة بكسر الراء، اسم للارتحال وللمسير، يقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل وترحل، والرحلة بالفتح والرحلة بالكسر هي الارتحال، أما الرحلة بالضم فهو الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، فيقال: أنتم رحلتي(بضم الراء)أي الذين أرتحل إليهم، وراحلت فلان إذا عاونته على رحلته، وأرحلته إذا أعطيته راحلة، ورحّلته إذا أظعنته من مكانه وأرسلته، ومن السياق اللغوي يفهم ارتباط الرحلة في مدلولها بفعل التنقل من محل إلى آخر، ومن ثّم يكون المكان حجر الزاوية فيها، وتكون الرحلة في أبسط معانيها هي الانتقال الذي يقوم به الرحالة على سبيل الهواية أو الاحتراف، أو ذلك السفر الذي يهدف إلى الاطلاع على آفاق جديدة من المناطق المجهولة، وتتضاعف أهميتها عندما يسجل صاحبها أهم ما يتعلق بها في شكل تقرير مفصل، وتصبح بذلك وثيقة تاريخية وجغرافية، تكشف النقاب عن المجهول من الأرض والسكان،[2] ولولا الرحلة لما وصلتنا أخبار عديدة من مختلف الأماكن، فالرحلة تحتوي على مختلف المعلومات وتتضمن أخبارا جغرافية واجتماعية، وسياسية وعسكرية، أدبية ودينية، اقتصادية وثقافية...وهذا ما يجعلها مصدرا مهما لا يستغني عنها الباحث ومنهم المؤرخ، ويعتبر ما تركه

[1] فاتح بلعمري، **الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016-2017، ص. ب

[2] نقلا عن: حفيظة خشمون، **المهمة السياسية والعلمية الفرنسية بالجزائر في القرن 18 من خلال نماذج: "لوجي دو طاسي، فونتير دو برادي، بايصونال وديفونتين**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، 2020-2021، ص.15

كتاب الرحلة تراثا غنيا بغض النظر عن اتجاهاتهم وأجناسهم وعقائدهم وحتى أهداف رحلاتهم والأماكن التي زاروها، فما قيدوه وما لاحظوه وشاهدوه وسجلوه هو الذي يعطي للرحلة قيمتها عند جمهور الباحثين.[1]

ساهم الجزائريون في كتابة الرحلات خاصة خلال القرن الثامن عشر ميلادي، وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وهي المسماة"الرحلات الحجازية"، وبعضها نتيجة لطلب العلم وتسمى"الرحلات العلمية"، ولكن الجزائريين مقارنة مع كتاب الرحلات المغاربة كانوا قليلي الإنتاج، وربما يعود ذلك إلى عدم عودة العلماء إلى الجزائر، ليكتبوا ملاحظاتهم إلى أهلهم ومجتمعهم، فلو رجع عيسى الثعالبي ويحي الشاوي وأحمد المقري وأحمد بن عمار وغيرهم لكتبوا رحلاتهم، والرحلات الموجودة كان بعضها مختصرا وبعضها مطولا، كما أن بعضها قد كتب شعرا فصيحا أو ملحونا وبعضها كتب نثرا مسجوعا أو مرسلا، وبعض الرحلات لا تعرف إلا أسماؤها وبعضها لم يصل إلينا منها إلا القليل، ووصل بعضها كاملا، وكتب الجغرافية المحضة لا تكاد توجد عندنا، باستثناء رحلة ابن الدين وبعض إشارات الورثلاني وابن حمادوش، ويمكن عموما تقسيم الرحلة خلال العهد العثماني إلى: علمية، وحجازية، **والرحلة العلمية** هي المقصود بها تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان بصورة عامة، والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا، كرحلة عبد الرزاق بن حمادوش فهي رحلة قام بها المؤلف لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر، إلى تطوان ومكناس وفاس، ثم عاد إلى الجزائر من تطوان، وقد وصف ابن حمادوش الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب الذي زاره مرتين على الأقل، وسجل ملاحظاته وإجازاته وأحكامه في رحلته أو مذكراته التي تعرف أيضا بلسان المقال، أما بخصوص **الرحلات الحجازية** فهي الرحلات التي شد الجزائريون فيها الرحال إلى الحجاز نتيجة اشتياقهم ومحبتهم للحرمين وزيارة موطن رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، والحجاز عندهم أرض

[1] فاتح بلعمري، الصفحة ب

طاهرة ضمت تاريخ الوحي والدعوة الإسلامية، لذلك سجلوا عواطفهم لرؤية الحجاز وأهله والتبرك بترابه وهوائه، والرحلات الحجازية هي أكثر وفرة نسبيا، وقسمها أبو القاسم سعد الله إلى قسمين: شعرية ونثرية.[1]

والرحلات الشعرية والنثرية مفعمة بالمشاعر، في وصف الأحاسيس الدينية والروحية، والرحلات الشعرية معظمها من الغرب الجزائري، وكان بعضها مكتوبا بشعر فصيح وبعضها بشعر ملحون، ومما كتب بالفصيح قصيدة محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني وهي قصيدة همزية متوسطة الجودة، وصف فيها مراحل رحلته من تازة حيث كان يقيم، إلى الحرمين الشريفين ثم منهما إلى الشام، وغيرها من الرحلات، ولكن الرحلات المصطلح عليها عادة هي الرحلات النثرية لا الشعرية، لأن الأولى يسجل فيها أصحابها انطباعهم عما شاهدوه وسمعوه ليس فقط في الحجاز ولكن في مختلف المدن والأقطار التي مروا بها، من الجزائر إلى بغداد، مرورا بتونس وطرابلس ومصر والجزيرة العربية وسورية والقدس ...، ولا يعرف من من الجزائريين سجل كل هذه الانطباعات، في كل هذه الأماكن، غير أن أقرب الرحلات في ذلك هي رحلة الورثلاني ورحلة أبي راس، ومعظم هذه الرحلات إنتاج القرن الثامن عشر(18).[2]

ثالثا لمحة عن الشعر خلال العهد العثماني: احتل الشعر مكانة مرموقة في حياة العرب منذ القدم، فكان لكل قبيلة شاعرها أو شعراؤها، الذين يفتخرون بمجدها وعزها، واستمر الناس في قول الشعر وسماعه في مختلف الأزمنة وكان له عدة أدوار، وقد انتشر الشعر في الجزائر خلال العهد العثماني وظهر عدة شعراء في هذه المرحلة منهم: أبو سعيد المنداسي، وابن علي، وابن عمار، والمقري، وابن حمادوش، والمنقلاتي، وابن سحنون وغيرهم، وذلك رغم البيئة الراكدة التي لم تكن تساهم على ولادة الأفكار أو قول الشعر، وانحصر الشعر في جانبين: الجانب الأول الجانب الديني وما دار في فلكه من إحياء المناسبات الدينية، والاحتفالات بالمناسبات الخاصة،

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.2عالم المعرفة، الجزائر، ص-ص.381-387

[2] المرجع نفسه، ص-ص.388-390

كالمولد النبوي الشريف، وموسم الحج ومواسم الحصاد وجني الثمار، أما الجانب الثاني فهو الجانب السياسي، ويشتمل على مدح أعمال البناء والتعمير والحروب والانتصارات التي كان يحققها الحكام على أعداء المسلمين من الكفار، وقد تناول الشعر السياسي عدة قضايا منها:[1]

–مقاومة العدوان المسيحي الغربي ومن بين أوائل الشعراء الذين تغنوا ببعض حلقات الصراع بين العثمانيين والإسبان الشيخ الأكحل بن خلوف الشهير بالأخضر، الذي صور الصراع بين خير الدين والإسبان حول مدينة وهران في قصيدة طويلة، ذكر فيها مختلف المشاهد الحربية واستعدادات الطرفين للمعركة والتحام الجيشين، والقبائل المشاركة إلى جانب كل طرف، وشعره مفيد في المعرفة الجغرافية للمدن والقرى والشعاب والأودية، وفي أخذ صورة تقريبية للبنى الاجتماعية مثل القبائل المختلفة التي كانت لها صلة بالحرب، والعوامل المؤثرة في تغيير ولاءاتها السياسية والدينية، ومن القضايا السياسية **سعي الشعراء إلى توحيد صفوف المسلمين للجهاد ومواجهة الإسبان**، ودعوة القبائل المتعاونة معهم إلى الرجوع إلى الأمة الإسلامية ومن بين شعراء هذه الفكرة الشاعر ابن المحلي، كما نجد أيضا فكرة **التنويه بأعمال القادة وأمجادهم**، فمجّد الشعراء أعمال القادة وفتوحاتهم العسكرية وأعمالهم العمرانية ومنجزاتهم الثقافية والاجتماعية، مثلما فعل الراشدي بمدح الباي محمد الكبير بعد فتح وهران الثاني، كما مدحه القرومي لما بنى مسجد معسكر، وتناول الشعراء أيضا **رثاء القادة أصحاب البر وأعمال الخير**، مثلما فعل الزياني في رثاء القائد بشير أغا الباي مصطفى بوشلاغم.[2]

–احتلال وهران وتحريرها، شكلت قضية وهران واحتلالها ومحاولة تحريرها المتواصلة مصدر إلهام لعدد من الشعراء، فقد نوه الفقيه أحمد البوني في درته المشهورة بفتح وهران الأول 1708 م، على يد الداي محمد بكداش، كما برع ابن سحنون الراشدي في قول الكثير من القصائد في مدح الباي بعد فتح وهران الثاني

[1] محمد أوجرتني، "واقع الشعر السياسي الجزائري وقضاياه في عهد الحكم التركي"، **مجلة الآداب والحضارة الإسلامية**، ع.18، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، سبتمبر 2015م، 217 وما بعدها

[2] المقال نفسه، سبتمبر 2015م، ص–ص217–221

1792م على يد الباي محمد الكبير، كما مدح أبو راس الناصري الباي محمد الكبير في شعره، وكان هذا الباي محبا للشعر ومكرما للشعراء مبالغا في إحسانهم.[1]

– **الشعر والثورة على الأوضاع الاجتماعية والسياسية،** لم تكن الأوضاع الاجتماعية والسياسية في النصف الثاني من القرن 18 وأوائل القرن 19 مستقرة، وقد أشار لذلك بعض الشعراء مثل الشاعر الشعبي المدعو الشيخ بالقاسم الرحموني الحداد، من مدينة قسنطينة، الذي صور الواقع المعاش بمدينة قسنطينة أوائل القرن التاسع عشر ميلادي في قصيدة من الشعر الملحون ضمت 69 بيتا، وصورت مدينة قسنطينة بصورة قاتمة في بداية القرن التاسع عشر، وكما ساهم الشعر في تصوير جانب من الحياة الاجتماعية ساهم **في التحريض ضد الأتراك وتأجيج العداوة ضدهم**، ومن بين الشعراء في هذا الباب الشاعر سعيد المنداسي وقد بالغ في هجاء الأتراك والدعوة لحربهم، كما دعا شعراء آخرون للثورة على الأتراك، ودق طبول الحرب، والتغني بالبطولات والثورات المقامة ضد الأتراك، وهناك الكثير من الأمثلة هنا لا يتسع المقام لذكرها نكتفي فقط بذكر الشاعر ابن السويكت الذي خلد ثورة "سويد"، كما خلد موقف بعض القبائل من وسط الشلف رفضت الخنوع والاستسلام للترك، وكان بايلك الغرب مسرحا للعديد من الثورات التي دارت بين الأتراك والدرقاويين، امتدت حتى بايلك الوسط وشرق الجزائر، وبعد كل هذا يتأكد لنا أن الشعر حتى ولو كان تعبيرا عن حالة نفسية إلا أنه رسخ في المخيلة الشعبية للأهالي، وتم التغني به أحيانا، وطالما كان الشعر يحمل الملاحم وينقل البطولات ويخلد المآثر.[2]

وقد أشرنا سابقا للرحلات الشعرية والتي اختار أصحابها الشعر للتعبير عن عواطفهم تجاه الحجاز، ورغم أننا صنفنا ذلك في خانة الرحلات لكن هذا لا يمنع من النظر إلى المادة العلمية على أنها شعر، ومن أمثلة ذلك ما قاله عبد الله بن عمر البسكري في مطلع قصيدته:

[1] المقال نفسه، ص.222 وما بعدها
[2] المقال نفسه، ص-ص222-234

دار الحبيب أحق أن تهواها وتحن من طرب إلى ذكراها

وعندما حل محمد بن عبد الكريم المغيلي بالحرم اهتزت نفسه ونطق بقصيدة مؤثرة بدايتها:

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

وكانت خلال العهد العثماني الموشحات والقصائد تسبق الزيارة للحجاز، والشعر الخاص بالرحلات الحجازية كان بعضه مكتوبا بشعر فصيح وبعضه بشعر ملحون، ومما كتب بالفصيح قصيدة محمد بن محمد بن منصور العامري والتلمساني وهي متوسطة الجودة، سبق ذكرها في عنصر الرحلات، وبدأها:

أزمع السير إن دهت أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء

كما نظم عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي رحلته من مجاجة إلى مكة المكرمة في قصيدة طويلة فصيحة وهي تبدأ: نشق الفيافي فدفدا بعد فدفد جبالا وأوعارا وأرضا وطيه وأخبر المجاجي فيها أنه التقى بالشيخ علي الأجهوري بمصر، وزار في الإسكندرية قبر أبي العباس أحمد المرسي، وقبر ابن الحاجب، ومن الذين حجوا معه أبو الحسن بن ناجي، صاحب الخنقة، الذي ارتبط بقرابة مع أمير ركب الحجاج الجزائريين، وأخبر أن ابن ناجي قد فارقهم عند بلدة ليانة ووصف مكانته في قومه، ومكانة أمير الركب وأملاكه في الزيبان وعلاقته بالسلطة، وفي القصيدة أخبار أخرى عن الجزائر وتونس ومصر وطرابلس، ومن الشعر الملحون هناك قصيدة محمد بن مسائب التلمساني، فقد نظم قصيدة روى فيها رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة، عبر مدن وقرى الجزائر من غربها إلى شرقها مارا بالطريق التقليدي الذي كان يسلكه حجاج الغرب(مليانة فالبليدة فمدينة الجزائر فمجانة فقصر الطير فقسنطينة فالكاف ثم تونس)وقد قام ابن مسائب برحلة برية مر فيها بعد المدن المذكورة بطرابلس ثم مصر، بينما كان الذين يسافرون عن طريق البحر يركبون من تونس وينزلون في الإسكندرية، وتبدأ رحلة ابن مسائب الشعرية بهذا الطالع: يا الورشان أقصد طيبة وسلم على الساكن فيها.وكان لابن مسائب

رفيقان في هذا الفن هما: ابن التريكي والزناقي، فكلاهما رحل مثله من تلمسان إلى مكة، وكلاهما كتب مثله رحلته شعرا ملحونا.[1]

رابعا نماذج من المصادر المحلية: تعتبر المصادر العربية المحلية مهمة جدا لدراسة تاريخ الجزائر الحديث، ويمكن للباحث أن يجدها على شكل مخطوطات أو كتب مطبوعة، ويجد مادتها العلمية شعرا أو نثرا، تأليفا عاما أو أدب الرحلة، لكنها جميعا ذات أهمية للباحث الذي تبقى غايته المعلومة التاريخية، وتجدر الإشارة أن كل فترة زمنية ولها مصادرها التي غطتها، فمثلا ما يخص مطلع القرن السادس عشر مع بداية التواجد العثماني في الجزائر، يمكن ذكر كتاب غزوات عروج وخير الدين الذي صححه وعلق عليه الأستاذ نور الدين عبد القادر، أو كتاب الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة الذي حققه سليم بابا عمر، أو كتاب سيرة المجاهد خير الدين، وكتاب تبر المسبوك في جهاد غزاة الجزائر والملوك وهذا باللغة العثمانية، وهذان الكتابان الأخيران هما عبارة عن مخطوطين بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية بالجزائر، وهناك كتابات تعود إلى القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، ومنها كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، وهو عبارة عن رجز(قصيدة طويلة)، خصصها صاحبها لفتح وهران الأول، في عهد الداي محمد بكداش(1707-1710)، أو كتاب فتح وهران للجامعي، وكتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، وهي تتمحور حول موضوع فتح وهران الثاني، خلال عهد الباي محمد الكبير 1779-1797م، ولا ننسى كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة، ومذكرات أحمد شريف الزهار، اللذان يعتبران من أهم المصادر لدراسة تاريخ الجزائر الحديث.[2]

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.2، المرجع السابق، ص-ص.387-389

[2] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ العسكري..."، المقال السابق، ص-ص. 296-297

ومن بين المصادر العربية لكنها ليست جزائرية توجد على سبيل المثال(نقتصر على الإسهامات المغربية كأنموذج لأن المصادر كثيرة فمنها التونسية والمصرية والعثمانية...)كتب الرحلات المغربية ومن أشهر كتب الرحلات التي تخدم تاريخ الجزائر الحديث نذكر: كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان(ليون الإفريقي)، كتاب النفحة المسكية في أخبار السفارة التركية للتامقروتي، كتاب ماء الموائد أو الرحلة العياشية للعياشي، ويعتبر أصحاب هذه الرحلات من أشهر ما كتبوا في هذا النوع من الآداب، فالوزان عاش بالأندلس قبل أن يستقر بمدينة فاس...وتجول عبر بلاد السودان ومصر وبلدان الشمال الإفريقي، ويعد شاهد عيان مصدره غني بالمعلومات، أما التامقروتي فقد شارك في رحلة رسمية قادته مع الهوزالي إلى الديار العثمانية، وفي طريقه إلى الباب العالي مر عبر بلدان شمال إفريقيا كلها إلى برقة، واصفا كل المناطق التي زارها، أما رحلة العياشي فتكمن أهميتها في أن صاحبها زار البلاد التي يتحدث عنها في رحلته ثلاث مرات: الأولى عام 1649م وكان عمره لا يتجاوز اثنين وعشرين سنة، الثانية عام 1653م وهو ابن السابعة والعشرين سنة، الثالثة عام 1661م وكان عمره خمسة وثلاثين سنة، وقد اهتم بكل ما شاهده وسجل ملاحظاته، وأصبحت الرحلات الثلاث من أهم مصادر الجزائر خلال العهد العثماني.[1]

وإلى جانب **الرحلات هناك كتب الحوليات** وحتى إن كانت معلوماتها قليلة عن أيالة الجزائر لكن فيها مادة علمية يمكن للباحث الاستفادة منها خاصة ما تذكره عن العثمانيين، وتعرج أحيانا على الجزائر، ومن أبرز تلك المصادر ثلاثة كتب: الأول مناهل الصفافي مأثر موالينا الشرف لأبي فارس عبد العزيز القشتالي، الثاني تاريخ الدولة السعدية الناثمدرية لمؤرخ مجهول، الثالث نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي لليفراني، وبالإضافة للحوليات والرحلات هناك أيضا **كتب التراجم والوفيات والأنساب** وهي مصادر مغربية يجب الرجوع إليها

[1] محمد مزين، "المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنان 16 و17م"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995، ص-ص90-96

واستغلالها تكميلا للحوليات والرحلات، وعلى سبيل المثال نذكر: دوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني، ذكر فيه صاحبه تراجم علماء القرن العاشر هجري، جدوة الاقتباس لابن القاضي وهو كتاب في جزأين اهتم فيه صاحبه بذكر تراجم الأعلام الذين عاشوا في فاس، أكانوا من أهلها أم كانوا زوارا، نشر المثاني محمد القادري كتابا في ثلاثة أجزاء انصب فيه اهتمام صاحبه على أعلام القرنين العاشر والحادي عشر الهجري، ممتع الأسماع لمحمد المهدي النحاسي ذكر فيه صاحبه أشياخ الشاذلية الجازوليين من أتباع الشيوخ الجازولي والتباع وما لهما من الأتباع، وهناك صنف آخر من المصادر أنتجه علماء القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ويتمثل في الكتابات الفقهية وعلى رأسها كتب الفتاوى والنوازل، وأصبح الآن متفقا عليه أن هذه الكتب تحتوي على مادة علمية تفيد المؤرخين.[1]

ومن أجل فائدة الطالب نذكر قائمة بأهم مصادر العهد العثماني:

– ابن المسيب عبد الله، **ي الورشان أقصد طيبة**(ضمن كتاب من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين لناصر الدين سعيدوني)

–ابن الشويهد يوسف، **قانون الأسواق في الجزائر العاصمة وعادات الأسواق**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية Cd 269 2311

–ابن العنتري محمد الصالح، **القحط والمسبغة في بلد قسنطينة**

–ابن العنتري محمد الصالح، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز

–ابن العنتري محمد الصالح، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974

[1] محمد مزين، المقال السابق، ص–ص.96–100

-ابن القاسم محمد بن أحمد، **سيرة المجاهد خير الدين**، مخطوط رقم 2603 بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

-ابن المبارك، **تاريخ بلد قسنطينة**، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2011

-ابن المسيب عبد الله، **الديوان**، نشره محمد بخوشة، تلمسان، 1370 هـ

ابن المفتي حسين بن رجب، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، ط.1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

-ابن حمادوش عبد الرزاق، **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 463

-ابن حمادوش عبد الرزاق، **رحلة ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1983

-ابن حمادوش عبد الرزاق، **كشف الرموز في العقاقير**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1764 Cd 255

-ابن زاكور الفاسي، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1740 Cd 19

-ابن زاكور الفاسي، **نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**(ضمن كتاب: ثلاث رحلات مغاربية)تحقيق مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011

-ابن زرفة العمري، **الرحلة القمرية**، تحقيق مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003

-ابن علي ابن عمار وآخرون، **أشعار جزائرية**، تحقيق وتقديم أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988

-ابن عمار أحمد، **نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم Cd 76-88 2757

-ابن عمار أحمد، **نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب**، نشر وتحقيق محمد بن شيب، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1902

-ابن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط.2، الجزائر، 1981

-ابن ناصر الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد، **الرحلة الناصرية**

-ابن هطال أحمد التلمساني، **رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة،1969م

-أبو راس محمد الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2003 Cd 124-125

-أبو راس محمد الناصر، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، ثلاث نسخ مخطوط،واحدة ملك عبد الحي الكتاني، الخزانة العامة بالرباط

-أبو راس محمد الناصر، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، حياة أبي راس الذاتية والعلمية، تحقيق وضبط وتعليق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990

-أبو زيد عبد الرحمان الجامعي، **رحلة الجامعي**،(ضمن تأليف تاريخ المدن الثلاث الجزائر-المدية-مليانة في موسمها الألفي)، ط.1، دار الأمة، الجزائر، 2007

-**التبر المسبوك في جهاد غزاة جزائر وملوك**، مخطوط رقم 1640(920)بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

-التلمساني ابن رقية الجديري، **الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تحقيق سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع.3،1967.

-التمقروتي أبي الحسن علي، **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتعليق سليمان الصيد المحامي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988

-التنلاني التواتي عبد الرحمان بن إدريس، **رحلة عبد الرحمان بن إدريس**، تحقيق مختار حساني، حوليات جامعة الجزائر، ع.16، ج.1، جامعة الجزائر، 2006

-الجامعي عبد الرحمان الفاسي، **شرح أرجوزة الحلفاوي**.

-الجديري محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلالي بن رقية التلمساني، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق سليم بابا عمر**، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب الجزائرية، ع.3، جويلية 1976.

-الجزائري محمد بن ميمون، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

-الراشدي بن سحنون أحمد بن علي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم المهدي البوعدلي، منشورات وزارة التعليم العالي، سلسلة التراث، قسنطينة، 1973.

-الزهار أحمد الشريف، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246 هـ/1754-1830 م**، نشر وتحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974

-الزهار أحمد الشريف، **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

-الشويهد يوسف عبد الله بن محمد، **قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705م**، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006

-الفكون عبد الكريم، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987

-المرالي علي التونسي، **العود الجزائري**، تقديم وعرض احميدة عميراوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006

-المغربي ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، ط.2، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1982

-المقري أحمد أبي العباس، **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تحقيق محمد بن معمر، منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004

-المقري أحمد أبي العباس، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**...، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968

-المكناسي محمد بن عبد الوهاب، **رحلة المكناسي(إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب)**، تحقيق وتقديم محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2003

-الورثلاني الحسين، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق محمد بن أبي شنب، ط.2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974

-الورثلاني الحسين، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، نسخة بزاوية الهامل ببوسعادة، رقم 30

-الوزان الحسن بن محمد، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج.1وج.2، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983

-اليفرني محمد، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم Cd 68489 1741

-اليفرني، محمد الصغير بن محمد، **صفوة من انشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، مطبعة حجرية، فاس، المغرب

-بربروس خير الدين، **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، ط.1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010

-بن سودة عبد السلام بن عبد القادر، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ومعه تتمة تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين(عبد الكبير الفاسي)**، تنسيق وتحقيق محمد حجي، ط.8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996

التلمساني ابن رقية الجديري، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم Cd 50119 1626

خوجة حمدان بن عثمان، **إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراس عن الوباء**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968

-خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.

-خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

-أبو راس محمد الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، ج.1، تقديم وتحقيق محمد عالم، منشورات المركز الوطني في البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005

-**دفتر تشريفات**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1649 Cd 24

-**سجلات رواتب الجند**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1986

-مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق عيد القادر نور الدين، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر، 1934.

-محمد الحلفاوي، **أرجوزة تؤرخ لأخبار الفتح الأول 1118 هـ/1706-1707م**، مخطوط، شرحه الشيخ عبد الرحمان الجامعي، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2521

-محمد المصطفى بن عبد الله ابن زرفة، **الرحلة القمرية في السيرة المحمدية**، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2597

-محمد بن محمود بن العنابي، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

-مسلم بن عبد القادر الوهراني، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974

مصطفى بن حسن خوجة، **التبر المسبوك في غزاة الجزائر والملوك**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1640

مصطفى بن حسن خوجة، **كتاب المضحكات العجائبات على رؤوس الإصبنيول**، مكتبة قصر الطوب قابو بإسطنبول، رقم 1412

-مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، إدارة دار الشؤون الثقافية العامة

الوثلاني الحسين، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم Cd 169 2743.

خامسا نقد المصادر المحلية: رغم أهمية هذه المصادر لكنها تبقى غير كافية وحدها لدراسة تاريخ الجزائر الحديث، ولا يمكن الاعتماد عليها وحدها لتجديد نظرتنا للعهد العثماني وإعادة صياغة أحداثه بطريقة مبتكرة،[1] فكثير منها يغلب عليه الطابع الأدبي السردي، وتتضاعف أمامها مهمة الباحث في التحليل واستخلاص الحقائق، كما أنها قليلة المعلومات في بعض جوانب تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني كالجانب العسكري مثلا، والإحصائيات الدقيقة حول المؤسسات الثقافية وغيرها، كما أن كتابها تباينت مواقفهم من الوجود العثماني في الجزائر بين القبول والرفض مما أدى لانعكاس نفسيتهم على كتاباتهم،[2] ولهذه الأسباب وغيرها نجد المؤرخ ناصر الدين سعيدوني يؤكد على ضرورة العودة وعدم إهمال الرصيد الأرشيفي داخل الجزائر وخارجه، وضرب مثلا لتأكيد فكرته حول وضعية سهل متيجة أواخر العهد العثماني، إذ حسب أقوال بعض الجزائريين مثل محمد بن سيدي ضيف الله وحمدان خوجة، فإن سهل متيجة كان أواخر العهد العثماني يتميز بكونه منطقة غير صحية، تتخللها المستنقعات وتستولي الحشائش على جزء كبير منها، بينما الأراضي المستغلة منه تكاد تنحصر في المساحة الصغيرة لبعض الأحواش أو المزارع التي كانت في ملكية البايلك وسكان المدن، وبعض العائلات ذات النفوذ، بينما باقي المساحات تكاد تكون خالية من السكان إلا بعض التجمعات الصغيرة والدواوير المتناثرة، ومما زاد في شقاء هؤلاء السكان انتشار حمى المستنقعات، خاصة في الأماكن المنخفضة، هذا الطرح نجده في بعض

[1] ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري..."، المقال السابق، ص.112

[2] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ..."، المقال السابق، ص.297، 298

المصادر العربية المحلية وحتى الأجنبية، لكن الصورة تتغير تماما بعد العودة للأرشيف الجزائري، حيث يتضح منها أن سهل متيجة كان يعج بالسكان من مختلف الجماعات والقبائل، وساهم في إنتاج وفير من الحبوب ومختلف المنتوجات الزراعية، وأن المساحات الرطبة منه كانت تخصص للمراعي الصيفية، وأحسن دليل نستنتجه من عدد الأحواش والمزارع العامة والخاصة التي ورد ذكرها في وثائق الأرشيفات الجزائرية التي بلغ عددها الكلي 862 موزعة على الأوطان، التي يتكون منها سهل متيجة وهي كالتالي: وطن حجوط(السبت)138، وطن بني خليل 219، وطن بن موسى 220، وطن الخشنة 135، وطن يسر 100، وهذا ما أكد به ناصر الدين سعيدوني وجهة نظره، وعليه لم تكن المصادر المحلية وحتى الأجنبية كافية للحسم في أمر سهل متيجة، وأن الوثائق الأرشيفية هي التي مدت معلومات مضبوطة ودقيقة،[1]وهذه ليست المسألة الوحيدة التي تثار بل هناك مسائل أخرى.

[1] ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري..."، المقال السابق، ص.114-115

المحاضرة السادسة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر الفترة العثمانية (تابع)

2.2المصادر الأجنبية: أولا أهميتها: تحتل المصادر الأجنبية مكانة هامة في تاريخ الجزائر الحديث، فهي تعتبر من أهم مصادره، وهي كثيرة وثرية بالمعلومات، ومتنوعة فمنها مذكرات القناصل وكتابات الأسرى وكتب الرحالة ورجال الدين والرهبان وغيرها، وكان أصحابها من جنسيات مختلفة فمنهم الإسباني والفرنسي والألماني والأمريكي...ممن قادتهم ظروفهم لزيارة الجزائر والتعرف عليها، فاحتوت مصادرهم على معلومات كثيرة ومهمة، وأخبار وإحصاءات وأوصاف للحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية للجزائر، حتى أصبح من الصعب الاستغناء عنها لأي باحث في تاريخ الجزائر العثمانية،[1] وحسب بعض الدراسات أن مجموعة من الظروف ساعدت الأجانب على الكتابة عن تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية، كالظروف التجارية والدبلوماسية والدينية والسياسية والحربية(القرصنة)، وأغلب ما كتب كان عن المدن وفي مقدمتها مدينة الجزائر العاصمة، ووهران، بحكم علاقة هاتين المدينتين بالدول المسيحية، وقد اختلفت المادة العلمية التي تركتها المصادر الأجنبية عن المادة العلمية التي تركتها المصادر المحلية، كما أن المصادر الأجنبية كانت مكملة للمصادر المحلية وأحيانا قدمت معلوماتها الخاصة وتمكنت من رسم ملامح الصورة الكاملة للجزائر، سواء ما كتبه الرحالة أو القناصل أو الأسرى.[2]

ثانيا أصناف الكتابات الأجنبية عن الجزائر: تنوعت الأقلام الأجنبية التي كتبت عن الجزائر سواء من حيث جنسية أصحابها أو من حيث وضعيتهم والظروف التي قادتهم للجزائر، وشكّل ما يعرف **بأدبيات الرحلة والأسر وأدبيات الأسر والفداء،** قسما هاما من المصادر الأجنبية، فالرحلة تقوم على الحركة ومخالطة الناس،

[1] آمال معوشي،"صورة الأسطول والبحارة الجزائريين خلال العهد العثماني من خلال مصادر أجنبية"، **مجلة البحوث التاريخية**، مج.6، ع.2، جامعة المسيلة، الجزائر، 31 ديسمبر 2022، ص.363.

[2] احميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا أنموذجا**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003، ص.4، 9

ويقوم الرحالة في مصادرهم بوصف الثقافات الإنسانية ورصد جوانب من حياة الناس اليومية في مجتمع معين، خلال فترة زمنية معينة، لذا هذه المصادر تزخر بالعديد من المعلومات المهمة، وقد تمكن الكثير من الأجانب على رأسهم الفرنسيين في العديد من المناسبات من زيارة الجزائر، وتقديم أوصاف مختلفة لها، كل حسب وجهة نظره، فهناك إفادات الجواسيس، ورجال الدين، تقارير القناصل والدبلوماسيين، مذكرات الأسرى والمغامرين، تقارير العلماء والمستكشفين...فبرزت عدة أنماط من الرحلات أبرزها:[1]

*__الرحلة الدينية:__ ارتبطت بعملية تحرير الأسرى فكثير من الدول الأجنبية سعت لتحرير أسراها المسيحيين في الجزائر، عن طريق التنظيمات الدينية المسيحية، التي كانت ترسل أعضاء منها في شكل بعثات أو رحلات إلى الجزائر وغيرها من أقاليم إفريقيا الشمالية أطلق عليها رحلات الفداء، وتمثل دور الجماعات والإرساليات الدينية في افتداء الأسرى المسيحيين، وتخليصهم من معاناة الأسر، ومحاربة اعتناقهم للإسلام، فكانت هذه الرحلات دينية طغى عليها الحماس الديني، وتفانى أصحابها في أداء الواجب المقدس، في إطار مهام رسمية أو من الكنيسة للتفاوض بشأن الأسرى وتحريرهم، وأشرفت عليها بعض التنظيمات والأديرة الدينية المسيحية مثل "دير التثليث المقدس وافتداء الأسرى"، "تنظيم سيدة الخلاص أو الرحمة"، "التنظيم اللازاري الفرنسي"وغيرهم.[2]

*__الرحلة السياسية والدبلوماسية:__ مع نهاية القرن 17 م.ظهر مفهوم جديد للرحالة وتراجع دور الرحالة الدينيين، فانفتحت آفاق جديدة في عقول الرحالة، جعلت من الرحلة هدفا سياسيا ودبلوماسيا أو تجاريا أو تجسسا...، وارتبط هذا النوع من الرحلات باكتشاف الأماكن جغرافيا وبعملية الاستعمار والغزو، وتم توظيف العديد من هذه الرحلات لخدمة مصالح الدول الاستعمارية، وفي ظل التنافس الأوروبي في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 زاد الاهتمام بالشرق وازدهرت الرحلات وارتبطت بالتوسع الاستعماري والتجاري.[3]

[1] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص.16، 47-54

[2] المرجع نفسه، ص.47 وما بعدها

[3] المرجع نفسه

***الرحلة العلمية الاستكشافية:** قادها عدد من علماء الطبيعة والأطباء وعلماء النبات والبيولوجيين وغيرهم، وكان الانشغال والاهتمام العلمي القاسم المشترك بين الكثير من الرحالة، ولعل الأزمات المتعددة التي عرفتها دول حوض البحر المتوسط خاصة منها الأزمات الصحية، انتشار الأمراض والأوبئة، قد حفزت على هذا النوع من الرحلات، من خلال تشجيع العلماء والبيولوجيين على القيام بأبحاث في هذا الميدان، ولم يقتصر كل الرحالة سواء هؤلاء أو أولائك على مجالاتهم وأعمالهم التي شدوا الرحال من أجلها، بل امتدت اهتماماتهم أيضا للتاريخ، الجغرافيا، الآثار وغيرها من المعارف التي حرص الرحالة على تقديمها لمواطنيهم في أوروبا.[1]

لقد كان أدب الرحلة والأسر من أبرز المصادر الأجنبية وامتد طول فترة العهد العثماني في الجزائر، ويمكن تصنيف من زار الجزائر حسب وظيفته ووضعيته إلى:[2]

الرهبان والقساوسة: كانت زيارتهم للجزائر لافتداء الأسرى، ومحاولة إظهار ما يعانيه هؤلاء من اضطهاد.

الأسرى: يضم هذا الصنف من الكتاب، الأشخاص الذين سقطوا في قبضة البحرية الجزائرية سواء خلال المعارك البحرية، أو أثناء مصادفتهم لسفنهم في أعالي البحار، واقتيدوا لمدينة الجزائر كأسرى ينتظرون عملية تحريرهم من طرف دولهم، فسجلوا ملاحظاتهم ومذكراتهم عن أيالة الجزائر.

قناصل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية: فمن خلال مهامهم ومناصبهم واحتكاكهم بحكام الأيالة، سجلوا ملاحظاتهم التي شملت العديد من الجوانب منها العسكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية، ومن بين هؤلاء وليام شالر الذي سجل مذكراته التي تضمنت العديد من الملاحظات الهامة عن أيالة الجزائر.

الجواسيس والضباط العسكريون: قدم هذا النوع للجزائر بغرض الاطلاع على نقاط القوة والضعف في الجزائر خاصة المؤسسة العسكرية، وكان بعضهم يعمل في قنصليات الدول الأجنبية، ومن بين هؤلاء الجاسوس

[1] المرجع نفسه

[2] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ العسكري..."، المقال السابق، ص-ص.298-299

"بوتان"ضابط في الجيش الفرنسي، زار الجزائر عام 1808م، ووضع تقريرا مفصلا من بين النقاط التي تناولها فيه الجيش الجزائري، التحصينات، كما حدد مراكز الضعف للأيالة، وقد استغل ضباط الحملة الفرنسية هذا التقرير لاحتلال الجزائر عام 1830م، وأيضا نذكر الضابط "رينودو"الذي عمل مع قنصل فرنسا في الجزائر، وترك بدوره ملاحظات حول الأيالة منها ملاحظات حول القوات الجزائرية البرية والبحرية.

العلماء والمستكشفين:[1] قدم هذا النوع للجزائر من أجل العلم والاستكشاف، ومع ذلك امتدت اهتماماتهم أيضا للكتابة في مجال التاريخ، والجغرافيا، الآثار وغيرها من المعارف ومن أبرز من يصنف في هذا المجال نذكر: الرحالة "بايصونال جون أندري"(Peyssonnel(Jean Andreالطبيب الفرنسي وعالم في الطبيعيات والنبات والطب البحري، زار تونس والجزائر ، وامتدت رحلته من 1724 م-1725م، "توماس شو"(T) Chwطبيب وكاهن بالوكالة الإنجليزية في الجزائر، زار تونس والجزائر(مناطق ما بين الأطلس والساحل)، وامتدت رحلته من مابين 1720 م-1732م، ج.أو.هابنسترايت (J.E)Hebenstreit طبيب ألماني وعالم في الطبيعيات والنبات، زار تونس والجزائر وطرابلس، عام 1732، "لابي بوراي" Abbe Poiretعالم في الطبيعيات والنبات، فرنسي، زار بونة والقالة من الجزائر، مابين 1785م-1786م، ديفونتين Desfontaines طبيب وعالم نبات فرنسي، زار مناطق من تونس والجزائر، ما بين 1783م-1786م، وزاد الاهتمام من طرف العلماء والمستكشفين من أوروبا تماشيا مع الاهتمام بما يعرف بالتاريخ الطبيعي في القرن 18م، بكل ما يحتوي هذا المصطلح من تخصصات علمية متعددة، تطورت واستقلت عن غيرها من العلوم مثل: التشريح، الكيمياء، علم المعادن، علم النبات....وغيرها.

وصنف ناصر الدين سعيدوني مجموعتين أساسيتين من المصادر الأجنبية حول تاريخ الجزائر العثماني المجموعة الأولى هي مجموع الكتابات ما قبل الاحتلال 1830، وأغلبها مذكرات الرحالة وتقارير القناصل، وتقاييد رجال

[1] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص-ص54-55

الدين وتسجيلات التجار، تضمنت وصف أوضاع البلاد، سلوك الحكام وعلاقاتهم بالدول الأوروبية، ويعود جانب مهم منها إلى نشاط القرصنة والأسرى والأتوات، غطى بعضها القرنين السادس والسابع عشر مثل كتب هايدو، والأب دان، دابير، دافيتي، دارندا، وسيور دو لاكروا، سانسون، دايفيل، فاي، غاسبير، دانكور، ومنها ما يرجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مثل كتب الدكتور شو، وبايصونال، وفونتير دو بارادي، وبوتان، وتانفيل، وشالر، أما المجموعة الثانية فتضمنت الكتابات التي ظهرت في الفترة الأولى للاحتلال الفرنسي من 1830 م إلى 1880، وأغلب كتابها قادة عسكريون أو حكام مدنيون، كان الدافع لهم فيما كتبوه الهواية الشخصية لتسجيل الانطباعات ووصف الأحداث والتعليق عليها مثل:آرنو(Arnaud)، وإسترهازي(Esterhazy)، وروبان(Robin)، فلاندان(Flandin)، وفيرو(Feraud)، ودوني(Dennie)، ورين(Rinn)، دوما(Dumas)، وترومبلي(Trumelet)وغيرهم.[1]

ومن أشهر الأقلام الأجنبية التي كتبت عن الجزائر نذكر:[2]

هايدو (Haedo)1634م،الأب دان(Dan)1637م،دارندا(DAranda)1640م، دابير(Dapper)1686م، بايصونال(Payssonnel)1725م، الدكتور شو(Shaw)1732م، لوجي دو تاسي(Laugier de Tassy)1724م، فونتير دي بارادي(Venture de Paradis)1788، كيرسي(Kercy)1791م، بوتان(Boutin)1809، ديبوا تانفيل(Duboi Thainville)1809م، شالر(Shaler) 1822، سيمون بفايفر(Simon Pfeiffer)1830م، دافتي(Davity)، سيور دو

[1] ناصر الدين سعيدوني، "نظرة في المناهج الجامعية والمؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، مقال مستخرج من كتاب: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، ج.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص-ص.37-38

[2] ينظر ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري..."، المقال السابق، ص.111 وأيضا: محمد بوشنافي، "مصادر دراسة..."، المقال السابق، ص.300

لاكروا(S. de la croix)، سانسون(Sanson)، دايفيل(Dappeviele)، فاي(Fay)، غاسيار(Gaspart)، دانكور(Dancour)....

وتكمن أهمية المصادر الأجنبية بالإضافة للمعلومات الغزيرة التي تقدمها للباحث، في الدقة والتنوع، وقد رسمت تقريبا ملامح الحياة في أيالة الجزائر، فالرحلات الاستطلاعية الأوروبية للجزائر بدأت منذ وقت مبكر، فقد زار نيكولاي(Nicolay)الجزائر عام 1551م وهو من الجغرافيين، وكان من أفراد حاشية الملك هنري الثاني، وقدم وصفا لمدينة الجزائر وبجاية وعنابة وهو في طريقه لإسطنبول، ألف كتابا بعنوان: les quatre premiers livres des navigations orientales, lyon 1568ومن الرحالة أيضا الدكتور شو الإنجليزي، الذي كان كاهنا بالوكالة الإنجليزية في الجزائر من عام 1720 إلى 1732م، واستطاع أن يقدم عملا نادرا بعنوان: جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر والشرق، في جزأين فيهما وصف دقيق والكثير من التفاصيل عن الجزائر، خاصة عن الريف والمنتجات والآداب العربية، بالإضافة إلى بعض المعلومات عن الحياة السياسية والإدارية، طبعت أعمال شو باللغة الإنجليزية مرتين(إكسفورد عام 1738م، ولندن 1757م)وترجمت هذه الأعمال إلى الفرنسية مرتين الأولى طبعة لاهاي عام 1743م بعنوان: voyages de monsieur Shaw dans la régence d'Algerوالثانية طبعة باريس عام 1930، في 405 صفحة تحت عنوان: Shaw(docteure),voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par Mac Crthy, Paris, 1830. وجمع الدكتور شو بين الرحلة والدراسة تحدث عن الجزائر ورسم خريطة أيضا وضح معالم جغرافية، وحدد بها حدود إيالة الجزائر، وخاصة حدود بايلك الشرق الجزائري.[1]

وزار جان أندري بايصونال بتكليف من أكاديمية العلوم، الشرق الجزائري عامي 1724م و1725م، وقدم عملا هاما عن الجزائر تضمن معلومات جغرافية وطبيعية واجتماعية هامة، Relation d'un voyage

[1] احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص-ص. 9-10

dans les régences de Tunis et d'Alger، وأما بريس فقد تولى مهام قنصل لتمثيل بلده إنجلترا في الجزائر عام 1768م، وقدم رواية في خمسة أجزاء تعتبر من مصادر الجزائر العثمانية، Bruce (J), voyages aux sources du Nil، وساهم فرنثيسكو خيمينيث المولود عام 1685م في الكتابة عن الجزائر العثمانية، وهو من الآباء البيض الإسبان حيث زار وهران بعد احتلالها من طرف إسبانيا عام 1732م وقدم ملاحظات هامة عن الجزائر ووهران خلال رحلته إليهما، والتي استمرت من عام 1717م إلى عام 1720م، ودون أعماله في سبعة مجلدات، خصص ثلاثة منها لهذه الرحلة، والأربعة الأخرى خصصها لتونس، عرض فيها معلومات كثيرة من بينها معلومات عن الأسرى المسيحيين في وهران، وكانت أعمال فونتير دو برادي من الأعمال الهامة حول تاريخ أيالة الجزائر، ونشرت في المجلة الإفريقية، حيث زار العالم فونتير دو برادي الجزائر عام 1789م، وكتب ملاحظاته الهامة حول الأيالة، ومن الأعمال القيمة أيضا أعمال الأسير هايدو التي قدمها باللغة الإسبانية تحت الرعاية الدينية الكاثوليكية عام 1608، وترجمت إلى الفرنسية بعنوان: Topographe et Histoire générale d'Alger، وتناولت خمسة محاور: المحور الأول حول طبوغرافية الجزائر(Topographie d'Alger)، والثاني أشار لحكام الجزائر ملوك الجزائر(l'épitomés des rois d'Alger)[1]والثالث حول الأسر(la captivité)، والرابع حول الشهداء(les martyres)، والخامس حول المرابطين(les Marabouts)، وتبنى واعتمد المجلس الأعلى الديني الكاثوليكي لمملكة سيسيليا هذا العمل، ووافق على طبعه ونشره الملك نفسه عام 1610م، ونشر في عام 1612م، وتناولت المحاور الثلاثة الأخيرة العبودية في الجزائر، وكتبت على شكل حوار بين أنتونيو وسوزا، وترجم المحور الأول "طبوغرافية الجزائر"كل من مونرو وبريرقر(Monnereau et Brebrugger)وترجم دي قرامون (De

[1] تم ترجمة هذا الجزء للغة العربية: فلراي ديغو هايدو، **تاريخ ملوك الجزائر**، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2013

Grammont) القسم الخاص بملوك الجزائر، وكتب هايدو ثرية بالمعلومات عن أيالة الجزائر من كل الجوانب.[1]

ومن بين المصادر الهامة أيضا مصدر الرحالة العالم المتخصص في النبات العالم ديفونشين الذي تجول في بلاد الجزائر ما بين 1783 م، 1784م، حيث زار الجزائر، معسكر، تلمسان، وترك رواية عن سفره لهذه الأماكن، والمعلومات التي تركها تعتبر من المعلومات الهامة خاصة حول أنواع النباتات والمناجم في الغرب الجزائري، وقدم بدوره القس بوراي عملا عن زيارته إلى الناحية الشرقية من بلاد الجزائر، وزار الإيطالي تاسكا برفقة السفير الفرنسي دي بريف الجزائر قادما من مصر عام 1606م، وقدم لوجي دي طاسي دراسة هامة عن الجزائر نشرت عام 1725م، كما ترك الأسير الألماني سيمون بفايفر مصدرا هاما عن أيالة الجزائر، حيث دام أسره في الجزائر خمس سنوات، وكتب ونشر عام 1832مذكراته بعنوان: رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر، وتضمنت معلومات هامة عن أواخر العهد العثماني في الجزائر وحتى بداية الاحتلال الفرنسي عام 1830م، وأيضا ترك مواطنه الألماني فندلين شلوصر مصدرا هاما قام بترجمته من الألمانية أبو العيد دودو: فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837م، وهناك كتاب آخرين من الألمان كتبوا عن الجزائر لا يتسع المجال لذكرهم جميعا هنا.[2]

وكما اهتم الأوروبيون بالجزائر اهتم الروس والأمريكيون أيضا بها،[3] وتركوا لنا عددا من المصادر الهامة حول أيالة الجزائر، نكتفي هنا بذكر مصدرين لكاتبين أمريكيين: مصدر الأسير كاثكارث[4]، ووليام شالر قنصل أمريكا

[1] احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص-ص.10-14

[2] احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص-ص.14-20

[3] المرجع نفسه، ص.25، 26

[4] جيمس كاثكارث، **مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي،الجزائر، 1982

في الجزائر(1816-1824م)،[1] والحقيقة أن هناك عددا كبيرا من المصادر الأجنبية التي يحتاجها الباحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، ومع أننا لا نستطيع ذكرها جميعا هنا إلا أننا نؤكد على أهميتها في تتبع الأحداث والكتابة عن أيالة الجزائر، ونشير إلى أن عددا من هذه المصادر تم ترجمته للغة العربية وأصبح من المصادر المعربة ونذكر في ما يلي قائمة بأهم المصادر الأجنبية والتي عرب بعضها:

-أ.ليسيور وويلد، **رحلة طريفة في أيالة الجزائر**، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة محمد جيجلي، ط.2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002

-ألبير دوفو، **مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني**، ترجمة وتحقيق وتعليق مصطفى بن حموش، ط.1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007

-بفايفر سيمون، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974

-تيدنا، **مذكرات تيدنا**، مستخرج من كتاب: احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003

-جيمس ليدر كاثكارث، **مذكرات أسير الدي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الجزائر، 1982

-شالر وليام، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

[1] وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

-كاربخال مارمول، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخران، ج.1وج.2وج.3، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1989

-ميتزون جيريت، **يوميات أسر في الجزائر 1814-1816**، ترجمه إلى الفرنسية ج.هـ.بوسكي وج.ق.بوسكي ميراندول، تعريب محمد زروال، دار هومة، الجزائر، 2011

-هابنسترايت ج.أو، **رحلة الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م**، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 2008

هاينريش فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، ج.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979

- De Tassy Laugier, **histoire du royaume d'Alger**, Henri du Sauzet, Amsterdam

-Camelin François et autres, **voyage pour la rédemption de captifs aux royaumes d'Alger et de Tunis fait en 1720**, avec approbation, privilège du Roy, Paris, France

-Chaouch Sinan, **histoire des frères Barbarousse Arroudj et Khair-edDin**, **fondateurs de la régence d'Alger**, trad.de Jean Michel Venture de Paradis(d'après l'édition établie par Sander Rang et Ferdinand Denis 1837),édition, grand Alger livre Alger, 2006

-Dan Pierre, **histoire de la barbarie et de ses corsaires des royaumes de villes d'Alger**, **de Tunis**, **de Sale et de Tripoli**, p.Rocolet, 1637(2eme édition renouée et augmentée, Paris, 1649)

-D'Apper Alfred, **description de l'Afrique**, traduit Française Waeberge Bommet Van Someren, Paris, 1686

-D'Aranda Emanuel, **les captifs d'Alger d'après la relation d'Emanuel D'Aranda Jadis esclave a Alger(XVIIème siècle)**, texte établie par Latifa Zeghari, Casbah, édition, Alger, 2004

-D'Arvieux Chevalie, **mémoire de Chevalie D'Arvieux envoyé extraordinaire du Roy a la porte**, **Consul d'Alep**, **d'Alger**, **de Tripoli et autres échelles du levant…**par le R.P.Jean Baptiste Labat, Paris

-De Nicolay Nicolas, **les quatre premiers livres des navigations et pérégrination orientale**, Lion, France, 1568

-Devoulx Albert, **tachrifat**, **recueil de note historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, imp. du gouvernement, Alger, 1852.

-Haedo Fray Diego, **histoire des rois d'Alger**, traduit et annotée par H. D. De. Grammont, Adolphe Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1881.

-Haedo Fray Diego, **topographie et histoire générale d'Alger**, traduit de l'espagnol par MM.le Dr. Monnereau et A. Berbrugger 1870, Alger, 1870.

-Pananti Philipe, **relation d'un séjour a Alger contenant des observations sur l'état actuel de cette régence…**,traduit de l'anglais obruat Elted, le normant, imprimeur librairie, Paris

-Peyssonnel Jean André, **voyage dans les régences de Tunis et d'Alger**, présentation et notes de Lucette Valensi, édition la découverte, Paris, 1987

-Rozet et Carrette, **Algérie états tripolitains**, édition, Bouslama, Tunis, 1980

-Show Thomas, **travels or observations relating to several parts of barbary and the levant**, Oxford, 1738, 2eme édition 1743, traduit Français, abregee par J.Mac Carthy, Paris, 1830

-Venture De Paradis(J.M), **Alger au XVIII^e siècle 1788–1790**, **mémoires**, **notes et observations d'un diplomate espion**, Adolphe Jourdan, Alger, 1898

-Venture De Paradis(J.M),**Tunis et Alger au XVIII^e siècle**, bib.Arab.Sindhab, Paris, 1983

ثالثا نقد المصادر الأجنبية: رغم أهمية المصادر الأجنبية والمادة العلمية الغزيرة التي تحملها إلا أنها لم تسلم من الذاتية ونظرة التعالي والحقد الصليبي والتحيز الأعمى الذي حمله أصحابها، وانعكس ذلك على بعض معلوماتها، فمثلا وصف أبو الحسن علي التمقروتي بن عبد الله محمد الجزولي المغربي وهو من واد درعة(توفي 1595م)، الجزائر بأحسن الأوصاف، لكن بعض الأوروبيين من بينهم الأب دان نفى أن يكون للجزائر أي نشاط حضاري،[1] كما احتوت المصادر الأجنبية على كثير من الدسائس والتشويه المتعمد، مما يتوجب على الباحث التمحيص والحذر والتدقيق في المادة العلمية التي بين يديه، لأن أصحاب هذه المصادر امتلأت قلوبهم بالحقد على الأيالة وحكامها وجيشها فكادوا لها التهم والأباطيل، واعتمدت المصادر الأجنبية على المشاهدة والملاحظة فقط، وركز معظمها على مدينة الجزائر، وأهملوا باقي البلاد، وذلك لأن أصحابها عاشوا أو زاروا الجزائر فقط، وعموما أغلب المصادر الأجنبية لم تعكس واقع المجتمع والبلاد، لأن مشاعر وطباع أصحابها هي التي حددت النظرة اتجاه الأيالة والمجتمع، فأصبح ما يتماشى مع الطباع الغربية مقبولا وغيره مرفوض، وتم تجاهل

[1] احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص.4

عادات وتقاليد سكان البلاد،[1] وكما أشرنا سابقا يبقى الرجوع للأرشيف ضروريا وعلى رأس قائمة المصادر، كما يجب مقارنة المعلومات الموجودة في المصادر الأجنبية بما هو موجود في المصادر المحلية في حالة كان ذلك متاحا.

لقد تعمدت المصادر الأجنبية تشويه الفترة العثمانية في الجزائر حتى أن المتصفح لجل المصادر الأجنبية يجدها تصب في مجرى واحد وهو العداء للجزائر وسيطرة النظرة العنصرية على كل ما له صلة بالعثمانيين، ووصف نشاط الأسطول والبحارة بالقرصنة، وتشويه سمعتهم وسمعة الحكام العثمانيين ووصفهم بالغيلان وقطاع الطرق، والعاصمة عش الصعاليك...وغيرها من الأوصاف السلبية، ممّا دفع أحمد توفيق المدني للتعبير عن تلك الأوصاف والمغالطات بأنه لا يعرف :" عصرا من عصور التاريخ في بقعة من بقاع الأرض ناله من الحيف والجور وتلطيخ السمعة وامتهان الكرامة، ما نال من ذلك عصر حكم الأتراك العثمانيين بأرض الجزائر، إنك لتقرأ ما يكتبه عن تلك الحقبة من تاريخ هذا الوطن ...فيخّيل إليك أن القطر الجزائري بأسره ما كان خلال تلك الأيام الطويلة إلا مغارة من مغاور السفاكين وملجأ يركن إليه السفاحون من لصوص البحر والبر، ويخيل إليك مع ذلك أن هذا القطر كان موطن المحن والبلايا، ومرتع المظالم وانتهاك الحرمات، بينما كان غيره من بقاع العالم يرتع في بحبوحة الأمن، ويسبح في بحار من الحرية والعدل والمساواة."[2] ولم يكن هذا رأي أحمد توفيق المدني فقط، فحتى عائشة غطاس ومولاي بلحميسي وكلاهما من الأقلام الجادة والكبيرة في الدراسات العثمانية بالجزائر، أكّدا أن أكثر ما كتب حول الجزائر خلال العهد العثماني كان غير منصف رغم كثرته، مليئا بالأفكار المسبقة والنوايا المغرضة والتحيز الأعمى.[3]

[1] محمد بوشنافي، "مصادر دراسة التاريخ..."، المقال السابق، ص.298، 301-302

[2] – أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والسيادة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص7

[3] – يراجع مقال عائشة غطاس ومولاي بلحميسي: عائشة غطاس، "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، مولاي بلحميسي، "موقف الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988.

ومن الأمور التي تؤخذ على المصادر الأجنبية أيضا أنها انحصرت في مواضيع معينة، وكتبت من أجل هدف سياسي بعيد نوعا ما عن الموضوعية والتاريخ، فتم التركيز على المواضيع التي تتصل أساسا بالقضايا الأوروبية مثل قضية القرصنة، والأسرى، الضرائب، تبادل القناصل، تقديم الهدايا، وعقد المعاهدات، في حين ظلت الأحداث المهمة والنشاطات الأساسية مهملة، وتتأكد هذه الملاحظات بالعودة لعدد من المصادر، التي تعكس عناوينها مواضيعها مثل: كتاب بلاد البربر وقراصنتها للأب دان، وتاريخ الاستعباد بإفريقيا للأب دومون، وتاريخ مدينة الجزائر وقرصنة الأتراك في البحر المتوسط لروتالي، وكتاب حياة وأوضاع العبيد المسيحيين بإقليم الجزائر لمارتن، وكتاب الجزائر أثناء مائة سنة من الجهود لإطلاق أسرى المسيحيين للأب أورس، فأصبحت هذه المصادر تخدم مصلحة الاستعمار خاصة الفرنسي.[1]

هناك أسباب عديدة للتحيز الأعمى الذي تبنته المصادر الأجنبية ضد الجزائر خلال العهد العثماني، ويحيلها أحمد توفيق المدني لأسباب دينية وسياسية، فتلك المصادر لم تخل من التأثر بالدعايات الدينية والسياسية التي انتشرت في أوروبا ضد الإسلام عامة، والدولة العثمانية والأيالة الجزائرية خاصة، لصالح الكنيسة أو لصالح الدول الطامعة في احتلال الجزائر والسيطرة عليها،[2] ويتأكد هذا الطرح إذا علمنا أن أغلب المصادر الغربية دعت إلى شن حملات عسكرية أوروبية ضد الجزائر، وطبعت ونشرت تحت الرعاية الملكية والدينية الكاثوليكية، على غرار أعمال هايدو، والتي قدمها باللغة الإسبانية تحت الرعاية الدينية الكاثوليكية عام 1608 وترجمت إلى الفرنسية، وقد تبنى واعتمد المجلس الأعلى الديني الكاثوليكي لمملكة سيسيليا العمل، ووافق على طبعه ونشره الملك نفسه عام 1610 ونشر عام 1612م، ولا يستبعد أنه تم حذف أو تعديل أو زيادة بعض المعلومات بما وافق أهواء الكنيسة والملك خاصة ما تعلق بالمسيحيين،[3] ومهدّت المصادر الغربية لاحقا للنظريات الاستعمارية التي تزعمتها

[1] ناصر الدين سعيدوني، "نظرة في المناهج الجامعية والمؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، المقال السابق، ص-ص.36-37

[2]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.7

[3]- احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص-ص13-14

المدرسة الفرنسية،[1] وكانت أرضية الانطلاق للاستعمار الفرنسي للجزائر، من حيث التحريض ضد الأيالة والحكم العثماني ونشاط البحارة، وكذلك من حيث وصف البلاد وحالتها ومواطن ضعفها ومواطن قوتها.

-امتازت العلاقات الجزائرية الأوربية خلال العهد العثماني بالتوتر والصراع، وكان الصراع صراعا عسكريا ودينيا، ولعب فيه رجال الكنيسة دورا لا يستهان به من تحريض وإملاء ما يريدون على مؤلفي تلك المصادر، الذين كان أغلبهم رهبان غلاة أو أسرى حرب في حاجة إلى الشهرة، أو ضباط يحلمون بالترقية أو قناصل عرفوا بالطيش، وهكذا جندت تلك المصادر نفسها لمهاجمة كل ما هو جزائري وعثماني بهدف أن تستجمع أوروبا قوتها، وتتحد فيما بينها للانقضاض على الجزائر، زعيمة المقاومة الإسلامية في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وكان المؤرخون ينظرون إلى أيالة الجزائر على أنها منبع الشرور ومصدر الأخطار وموطن الأمراض.[2]

-كان أصحاب هذه المصادر على يقين أن آراءهم ستكون مسموعة، وتحدث الأثر المطلوب على المجتمع الأوروبي المسيحي، لأنهم يتكلمون عن دراية، فأطلقوا العنان لأقلامهم لإثارة حماس العامة والحكومات لمهاجمة الجزائر، والقضاء عليها على وجه الخصوص، والقضاء على الإمبراطورية العثمانية على وجه العموم.[3]

-من دون شك أيضا أن المبالغة في الترويج للأفكار المغلوطة(خاصة ما يخص حياة الأسرى)، كان له دوافع شخصية وأغلبها تتمحور حول الأحكام المسبقة وإثارة الشفقة على أوضاع الأسرى لجمع التبرعات والصدقات لافتدائهم وتخليصهم من الأسر،[4]حيث كلما ضخمت هذه الكتابات مسألة الأسر والمعاناة وقسوة البحارة تمكنوا من توفير أموال إضافية، كما يضاف إلى كل هذا المداخيل التي يكسبها هؤلاء الأسرى إذا طبعت

[1]- عائشة غطاس، "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص.124

[2]- مولاي بلحميسي، موقف الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص103.

[3]- عائشة غطاس، المقال السابق، ص.119-124،120.

[4]- يراجع أيضا احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص28.

مذكراتهم عن العبودية في الجزائر، بعد عودتهم للديار فقد كان الأمر مربحا فعلا وتجارة رائدة، وذكر جيمس ريلي أن قصة والده عن الأسر قد بيعت منها مليون نسخة، وكان من بين قرائها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لنكولن أبراهام وطبعت روايات كثيرة عن الموضوع لا يتسع المجال لذكرها،[1] وارتبطت القرصنة بقضية الأسرى وكان الموضوعان معا يشكلان محور ما عرف بأدب الأسر، ولم يكن الأمر متعلقا بأوروبا فقط بل حتى الأسرى الأمريكانيين تركوا أدبهم الخاص وتجربة أسرهم في الجزائر.[2]

لكن رغم الانتقادات التي وجهت للمصادر الأجنبية، إلا أنها تبقى مصادر مهمة رصدت لنا تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وحملت بين طياتها الكثير من المعلومات، والتفاصيل الدقيقة، وشهادات وإحصاءات قد لا نجدها في غيرها من المصادر، والمطلوب من الباحث حسن استغلالها والحذر من الوقوع في فخها.

[1] – بلقاسم قرباش، "دور الكتابات الغربية في تشويه تاريخ الجزائر العثماني"، **مجلة رفوف**، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، مج.2، ع.1، ماي 2014، ص145،144، 151.

[2] – جيمس ويلسن ستيفن، **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785–1796**، ترجمة على تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص3،4.

المحاضرة السابعة: تحديد أماكن وجود مصادر تاريخ الجزائر الحديث

1الأرشيف على المستوى المحلي:

تعد دور الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة من أهم الأماكن التي تحتوي على مختلف مصادر تاريخ الجزائر الحديث، ويتوزع الأرشيف الجزائري الخاص بالفترة العثمانية على دور الأرشيف داخل الجزائر وخارجها، فهناك ما تم الاحتفاظ به محليا في الجزائر، وهناك المحفوظ بإسطنبول ومختلف الأرشيفات الأوروبية، وكذلك الأرشيفات في الدول العربية، ويأتي على رأس القائمة محليا:

-**الأرشيف الوطني ببئر خادم**، وسبق وبينا أنه يحتوي على عدد لا بأس به من الوثائق المتعلقة بالفترة العثمانية في الجزائر.

-المكتبة الوطنية الجزائرية

-أرشيف قسنطينة وأرشيف وهران

2الأرشيف على المستوى الخارجي:[1]

2.1أهم الأرشيفات الفرنسية التي تتوفر على وثائق الفترة العثمانية:

-الأرشيف الوطني الفرنسي بباريس ANP مجموعة فيsérie F80

-أرشيف وزارة الحرب بفانسان(باريس) série H AMG

-أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا ACM(ملف الجزائر قبل 1830)

[1] ينظر ناصر الدين سعيدوني، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري..."، المقال السابق، ص.111، ومختار ناير، المقال السابق، ص-ص.94-96 ومحمد مزين، المقال السابق، ص.86

-أرشيف ما وراء البحار بأكس آن بروفانس AOM(ملف الجزائر مجموعات ABCD)

2.2أرشيفات خارجية متنوعة(عربية وأجنبية):

خزانة قصر توبكابي سراي(تركيا)

-خزانة الباب العالي الرئيسي(تركيا)

-خزانة وزارة الخارجية التركية

-وثائق السمانكاس بمدريد

-وثائق مالطة والفاتيكان

-وثائق المدن الإيطالية التالية: نابولي، جنوة، ليفورنو، باليرمو

-خزائن الأرشيف السويدي بستوكهولم

-وثائق راغوست بيوغوسلافيا

-وثائق دار الباي بتونس

-المكتبة الوطنية التونسية

-وثائق عابدين بالقاهرة

-وثائق الخزانة الملكية بالرباط

-بعض الوثائق في الخزانة الحسنية بالرباط وخزانة القرويين بفاس وخزانات تطوان وطنجة وتامقروت والمصبحية.

وقد اهتم عدد من الباحثين بدراسة الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث، وقدموا كشافات مساعدة للطلبة والمهتمين لتسهيل مهمة إيجاد الوثائق في بعض المكتبات ودور الأرشيف، ومن بين هؤلاء عبد الجليل التميمي الذي له أعمال كثيرة في هذا الجانب من بينها "الدفاتر التركية والعربية في الجزائر"،[1] وكذلك خليفة حماش الذي له إسهامات متنوعة في إثراء البحث حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، ويأتي على رأس أعماله الذي يعد بمثابة المنار للباحثين في هذا التخصص "كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية"،[2] ولناصر الدين سعيدوني أيضا إسهامات طيبة في هذا الباب خاصة المقال المتعلق بأوقاف الأندلسيين بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، والذي تناول فيه بالشرح والتوضيح أوقاف الأندلسيين في الجزائر، وحدد العلب والسجلات مع أرقامها تسهيلا للباحثين في تاريخ الجزائر الحديث.[3]

3الكتب والمخطوطات: تعتبر المكتبات العامة والخاصة داخل الجزائر وخارجها، من أكبر المؤسسات الثقافية التي تحتوي على عدد من الكتب والمخطوطات حول تاريخ الجزائر الحديث، ويأتي على رأسها محليا **المكتبة الوطنية بالعاصمة،** وهي تتضمن عددا من المصادر المطبوعة كما فيها قسم خاص بالمخطوطات، وبالإضافة للمكتبة الوطنية بالعاصمة هناك **المكتبات الجامعية** على غرار مكتبة جامعة الجزائر، قسنطينة،

[1] للاطلاع على إسهامات عبد الجليل التميمي في ما يخص الأرشيف العثماني الخاص بالجزائر ينظر: مسعود بقادي، "دور الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية من خلال كتابات الدكتور عبد الجليل التميمي"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، مج.3، ع.1، جامعة الوادي، الجزائر، 24 جانفي، 2017، ص-ص.127-159

[2] خليفة حماش، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية**، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2012

[3] ناصر الدين سعيدوني، **"أوقاف الأندلسيين بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري"**، مستخرج من كتاب، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج.2، المرجع السابق، ص-ص.43-61

جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، ومكتبة جامعة وهران، باتنة، سطيف، المسيلة، عنابة، أم البواقي، جيجل، بسكرة، بجاية، سوق أهراس، بريكة، بويرة، معسكر، تيارت، سيدي بلعباس، ورقلة، أدرار...وغيرها من المكتبات المركزية التابعة للجامعات الجزائرية، وبالإضافة لمكتبات الجامعات هناك **المكتبات الولائية، مكتبات المساجد، المراكز الإسلامية، الزوايا، دور الثقافة، المتاحف** وحتى **دور الأرشيف** فيها قسم خاص بالكتب، فالأرشيف لا تقتصر خدماته على حفظ الوثائق وتقديمها للباحثين فقط، فهو بمثابة مؤسسة ثقافية كثيرة الخدمات،...بالإضافة للمكتبات العامة التابعة للمؤسسات الرسمية هناك **المكتبات الخاصة** بالعائلات أو الأفراد أو الزوايا...كما تساهم **المعارض الوطنية والدولية** في توفير عدد من مصادر تاريخ الجزائر الحديث، ويمكن للباحثين الحصول على الكتب أيضا عن طريق **المكتبات خارج الوطن**، سواء المكتبات الوطنية على غرار المكتبة الوطنية التونسية والفرنسية أو المكتبات الخاصة، وهناك الآن حتى مكتبات رقمية إلكترونية تتيح خدماتها على الانترنت من مطالعة وتحميل مجاني مثل مكتبة نور الإلكترونية-https://www.noor book.com/ المكتبة الوقفية https://waqfeya.net/ ، ومكتبة غاليكا Gallica[1] الفرنسية.

وتعتبر المؤسسات التعليمية الخاصة من بين المراكز الهامة لتوفير المصادر والمراجع، ومن بينها في الجزائر معهد الحياة بالقرارة بغرداية جنوب الجزائر، الذي أسسه الشيخ بيوض(1899-1981م) أحد أقطاب الإصلاح والعلماء، تأسس المعهد في ماي 1925م الموافق لـ28 شوال 1343 هـ.وذاع صيته وأقبل عليه طلاب العلم من كل مكان من مدن مزاب وغيرها، وتخرجت منه أجيال تلو الأجيال من داخل الجزائر وخارجها، وكان ولازال

[1] مكتبة غاليكا هي المكتبة الرقمية التابعة للمكتبة الوطنية الفرنسية وشركائها، تضم مكتبة غاليكا ذات الوصول المفتوح منذ 10 أكتوبر 1997م، أكثر من أربعة ملايين وثيقة موزعة ما بين كتب إلكترونية، صحف، مجلات، صور، تسجيلات صوتية، خرائط، مخطوطات، مقاطع فديو. ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/غاليكا

صرحا للعلم والمعرفة والإصلاح،[1] ويحتكم المعهد على مكتبة تسمى"مكتبة الحياة" ثرية بمختلف المصادر والمراجع والمخطوطات، مع العلم أنها بدأت بعدد قليل من كتب الشيخ بيوض منها ما اشتراها بماله الخاص، ومنها ما أهدي له، وبعضها من طلبة البعثات الأولى إلى تونس، وبعضها من تركات المشايخ وطلبة العلم، وأغلب الكتب وقف في سبيل الله لمكتبة الحياة في القرارة، وأكثرها أمهات في التفسير والحديث واللغة العربية والمنطق والتاريخ الإسلامي، وقد نظمت المكتبة وتم إثراؤها عبر السنين بكل الكتب في جميع العلوم، وساهم المتبرعون بتزويدها بالكتب من باب الصدقة الجارية، كما قام المشرف عليها بإدخال الأنظمة الحديثة في تسييرها، من فهارس وبطاقات...وتضم(إلى غاية 2009م)ما يزيد عن 6000عنوان في مختلف المعارف ومنها التاريخ.[2]

وجدير بالذكر أن الجزائر تمتلك عددا من المخطوطات المحفوظة بالمكتبات، والخزانات الشعبية، المساجد، الزوايا، القصور، المكتبات الخاصة بالعائلات والأشخاص...وبين جدران وفي رفوف هذه الأماكن يوجد كنز ثمين من التراث الذي يضم مختلف فنون المعرفة والعلم من: فقه، أصول، عقيدة، تفسير، توحيد، قراءات، تجويد، فلسفة، حديث، طب، زراعة، فلك، كيمياء، منطق، رياضيات، جبر، جغرافيا، تاريخ، سير، تراجم، أدب، نحو، بلاغة، تصوف...وغيرها من العلوم[3] ومن أهم الأماكن والمراكز الرسمية والخاصة التي تضم المخطوطات في الجزائر نذكر[4]:

---

[1] محمد علي دبّوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340 هـ./1921 م.إلى عام 1395 هـ./1975 م.**، ج.2، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص.210.

[2] سعيد بن بالحاج شريفي (الشيخ عدون)، **معهد الحياة نشأته وتطوره**، تقديم محمد صالح ناصر، ط.2، نشر جمعية الحياة وجمعية التراث، القرارة-غرداية، الجزائر، 2009، ص-ص.80-81

[3] عبد الكريم عوفي، **صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر من 1245 هـ /1830 م إلى 1431 هـ/2010 م**، منشورات المجلس، الجزائر، 2017، ص-ص12-13

[4] تم تحديد هذه الأماكن بالاعتماد على دراسة: عبد الكريم عوفي، "التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، مج.1، ع.1، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، الجزائر، 07 نوفمبر 1993، ص-ص.86-101

3.1المراكز الرسمية: وهي على العموم قليلة في الجزائر وأغلبها عبارة عن مكتبات عمومية وجامعية وأبرزها:

-مخطوطات المكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة:[1] تأسست المكتبة الوطنية الجزائرية عام 1825م، فيها أكثر من **ثلاثة ألاف مخطوط**، وقام أحد المستشرقين الفرنسيين بصناعة فهرس لها نشره في باريس عام 1893م، وتم جمع المخطوطات التي بحوزتها من المساجد والزوايا عبر كل القطر الجزائري، ومخزونها من المخطوطات قابل للزيادة بكل الطرق إما عن طريق الشراء، الهدية، الوقف....حتى أنها اقتنت في الأعوام الأخيرة عددا من المخطوطات من الداخل والخارج والأكيد أنه رفع عدد المخطوطات بها.

-مخطوطات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة:[2] مكتبتها ثرية عموما بالمصادر والمراجع المطبوعة، كما أنها تحتوي على أزيد من 150 (مائة وخمسين)مخطوطا في مختلف العلوم: التاريخ، الفقه، التوحيد، التصوف، العقيدة، اللغة، الأدب، الحديث، السيرة...وغيرها من المعارف، وقد كان قسم من مخطوطاتها ملكا لمكتبات خاصة، ولما أنشئت الجامعة قدم هدية لمكتبتها، وهي موزعة حسب مصادر جمعها كما يلي: **مكتبة الشيخ خير الدين** نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفيها 16(ستة عشر)مخطوطا، **مكتبة الشيخ صالح بن العابد**، وفيها 47(سبعة وأربعون)مخطوطا، **مكتبة الشيخ ابن الموهوب محمد المولود**، وفيها 6(ست)مخطوطات، **مكتبة الشيخ شعيب محمد الهادي**، وفيها 36(ستة وثلاثون)مخطوطا، ولمن لا يعرف مكتبة جامعة الأمير فهي تضم مكتبة الشيوخ المذكورين وهي عبارة عن قاعة كبيرة مقسمة حسب خزائن الشيوخ المذكورين وتقدم خدمات متعددة منها المطالعة الداخلية والإعارة الخارجية، وفيها قسم خاص

[1] عبد الكريم عوفي، "التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر"، المقال السابق، ص.89

[2] المقال نفسه، ص-ص.88-89

بالمخطوطات، ومكتبة أخرى للطلبة ثرية بكل أنواع المصادر والمراجع، ويسعى قسم المخطوطات لزيادة عدد مخطوطاته إما بالجمع أو الشراء...

-مخطوطات المكتبة المركزية في جامعة قسنطينة[1]: لا تمتلك هذه المكتبة إلا عددا قليلا من المخطوطات وصل 48(ثمانية وأربعون)مخطوطا.

-مخطوطات مكتبة مفتشية الشؤون الدينية بباتنة[2]: هذه المكتبة موجودة بوسط مدينة باتنة، أنشئت عام 1977م. وتم توجيه نداء لمن يمتلكون المخطوطات والكتب المطبوعة لإثراء المكتبة طبعا بالإضافة لما تمتلكه هي من رصيد، فأصبحت تمتلك حوالي 3000 (ثلاثة ألاف) مؤلف متنوع، من مصادر ومراجع، وعدد مخطوطاتها يزيد عن 70(سبعين)مخطوطا.

-مخطوطات مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار[3]: وتضم عددا لا بأس به من المخطوطات المتنوعة العلوم والمعارف.

-مخطوطات مكتبة جامعة الجزائر[4]: تأسست مكتبة جامعة الجزائر عام 1880 م، وكانت تضم عددا لا بأس به من المخطوطات لكن الاستعمار الفرنسي أتلفها، والشيء القليل الذي بقي منها أحرق عند الاستقلال.

3.2 المراكز الخاصة: المخطوطات في المراكز الخاصة أكثر عددا بالمقارنة مع المراكز العامة، وهي منتشرة على مستوى القطر الجزائري خاصة في الجنوب، ومن بين أهم الأماكن:[5]

[1] المقال نفسه، ص.89

[2] المقال نفسه، ص90

[3] المقال نفسه، ص.91

[4] المقال نفسه، ص.91

[5] عبد الكريم عوفي، "التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر."، المقال السابق، ص-ص.91-98

-مخطوطات زاوية الشيخ الحسين ببلدية سيدي خليفة ولاية ميلة[1]: وحسب بعض المصادر أن هذه الزاوية تأسست عام 1294 هـ على يد الشيخ الحسين بن محمد بن صالح القشي، وهو من الأدارسة النازحين من المغرب الأقصى إلى الجزائر، واهتمت الزاوية بالعلم والتعليم، امتلكت ما يزيد عن 6000(ستة آلاف)لكن للأسف ضاع الكثير منها، نتيجة أفعال الاستعمار الفرنسي من الحرق والتخريب، كما أخذ روادها من الجزائر وتونس والمغرب الأقصى عددا أيضا من المخطوطات على سبيل الإعارة لكنهم لم يرجعوا ما أخذوه، كما أتلف قسم من المخطوطات نتيجة الظروف الطبيعية بمرور الزمن، فقام القائمون على الزاوية بحرق كيسين كبيرين من بقايا المخطوطات المتضررة لأنهم كانوا يجهلون أن هناك طرق علمية لمعالجة هذه المخطوطات وترميمها، وفي الزاوية أيضا حوالي100 (مائة مخطوط) متضررة من الرطوبة، وقد يكون مصيرها الحرق أيضا، وهناك 500(خمسمائة)مخطوط سليم في مختلف الفنون العلمية منها: الشعر، والتاريخ، والسيرة، والسير، والتراجم، والطب، والزراعة، والفلك، والفلسفة، والمنطق، والفقه، والتوحيد، والحديث، والتفسير، والنحو، والقراءات والأدب...وغيرها من العلوم.

-مخطوطات مكتبات أدرار(توات، قرارة، تدكلت)[2]:تعد أدرار من أغنى مدن الجزائر احتفاظا بالمخطوطات، ومن أهم مراكزها: **مركز توات** الذي يضم اثنتا عشر مكتبة، موزعة على قصور المنطقة ومن أشهرها: مكتبة كوسام الواقعة في بلدية جديدة، وفيها أكثر من 100(مائة)مخطوط، مكتبة بني تامر الواقعة في بلدية تيمي، مكتبة وجلان الواقعة في بلدية تسابيت، مكتبة زاوية سيدي حيدة، **مركز تنجريرن** أغلب مخطوطات هذا المركز في الطب والفلك ومن خزائنه خزانة المطارفة وفيها 160(مائة وستون)مخطوطا، خزانة اقسطن وتقع في بلدية دلدول ومخطوطاته حول العقاقير، خزانة أولاد عيسى وللأسف ضاعت مخطوطاتها، خزانة

[1] المقال نفسه، ص-ص. 91-93

[2] المقال نفسه، ص-ص.94-95

تتروك أغلب مخطوطاتها في علوم الدين والتاريخ، **مركز تدكلت** الواقع في الجنوب الغربي من الولاية وأهم مكتباته هي مكتبة أقبلي الزاوية وفيها 63(ثلاثة وستون)مخطوطا، مكتبة المنصور، مكتبة ساهل القديم وفيها **218**(مائتان وثمانية عشرة)مخطوطا.

–مخطوطات مكتبة الشيخ التهامي صحراوي الحيدوسي بباتنة[1]: الشيخ من مواليد 1913م، وشغل بأواخر التسعينات من القرن العشرين منصب أمين مكتبة الشؤون الدينية بباتنة، يملك 20(عشرون)مخطوطا في علوم الحديث، الفقه، اللغة، التفسير، السيرة، الأدب، والحقيقة أنه كان يحتكم على أكثر من هذا العدد من المخطوطات لكن الاستعمار قضى على عدد منها، وقسم آخر دفن تحت التراب خوفا من ضياعه على يد فرنسا لكن لطول مدة الدفن تعرض للتلف.

–مخطوطات مكتبة المرحوم الشيخ المهدي البوعبدلي في الغرب الجزائري[2]: مكتبته عامرة بالمخطوطات وكان البوعبدلي حريصا على إحياء المخطوطات والحفاظ عليها، ويرجع له الفضل في كتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"لأحمد بن محمد بن علي ابن سحنون الراشدي.

–مخطوطات مكتبة الشيخ أطفيش العلم الإباضي:[3]هذه المكتبة موجودة في بني يزقن بوادي ميزاب ولاية غرداية بالجنوب الجزائري، تحتوي على عدد من المخطوطات أكثرها إباضي.

–مخطوطات مكتبة الشيخ نعيم النعيمي بقسنطينة:[1]توجد المكتبة بحي سيدي مبروك في مدينة قسنطينة، وقد كانت مكتبة الرجل زاخرة بالمخطوطات في مختلف العلوم، وآلت بعد وفاته عام 1974م للورثة، ولا يعرف بالضبط(حد كتابة المقال)مصيرها.

[1] المقال نفسه، ص.95

[2] المقال نفسه، ص–ص.95–96

[3] المقال نفسه، ص.96

مخطوطات زاوية علي بن عمر بطولقة:[2]تبعد الزاوية عن مدينة بسكرة ب35كلم(خمسة وثلاثين)وهي تصنف من أكبر زوايا الجزائر، ثرية بالمخطوطات والكتب المطبوعة طباعة حجرية.

–مخطوطات مكتبة الشيخ المولود بوزيد بسريانة ولاية باتنة:[3]صاحب المكتبة الشيخ المولود كان إماما لأحد مساجد بلدية سريانة بولاية باتنة التي تبعد عن باتنة بحوالي 25 كلم(خمسة وعشرين)تضم عددا كبيرا من المخطوطات أكثرهم لعلماء جزائريين.

–مخطوطات الزاوية القندسية(القنادسية):[4] تقع في ولاية بشار بالقنادسة، أشارت بعض المصادر على أنها كانت تضم 3000(ثلاثة آلاف)مخطوط سنة 1950 م، لكن الاستعمار الفرنسي قضى عليها جميعا.

–مخطوطات المرحوم الشيخ عبد المجيد بن حبة بالمغير قرب بسكرة[5]: وتضم أيضا عددا من المخطوطات.

وبالإضافة لهذه المراكز هناك مخطوطات في زاوية الهامل ببوسعادة، مكتبة الشيخ شعيب بتلمسان، مكتبة ابن الفكون بقسنطينة، الزاوية التيجانية بتماسين في ورقلة، الزاوية الدرقاوية بمدينة سيدي بلعباس، الزاوية الحملاوية في قسنطينة، زاوية سيدي سالم بالوادي، زاوية سيدي خالد قرب بسكرة، زاوية الناظور للشيخ الحملاوي بولاية قالمة، زاوية ابن عبد الصمد بولاية باتنة...وغيرها من الأماكن التي تحتاج سواعد الباحثين للكشف عن ما تحتويه من مخطوطات.[6]

---

[1] المقال نفسه، ص.96

[2] المقال نفسه، ص.96

[3] المقال نفسه، ص.96

[4] المقال نفسه، ص.97

[5] المقال نفسه، ص.97

[6] المقال نفسه، ص.97

وتجدر الإشارة أن وادي مزاب بجنوب الجزائر يحتكم على رصيد هام من المخطوطات في عدد من العلوم والمعارف، حيث قدرتها بعض الدراسات بأكثر من 8000 مخطوط، ولا يزال أغلب هذه الرصيد حبيس الخزائن في المكتبات العامة والخاصة، وأحصى الباحث محمد الحاج سعيد حوالي 114 مكتبة بوادي مزاب عام 1992م، لكن بعد هذه السنة تم اكتشاف مكتبات جديدة عامرة بخزائن الكتب والتي لم يشملها الإحصاء، مما يؤكد أن عدد المكتبات في وادي مزاب أكثر بكثير من الرقم المشار إليه أعلاه، وهذا يجعل وادي مزاب أحد أهم الأماكن الثقافية على مستوى الجزائر، وبذلك يكون وجهة لطلاب العلم والمعرفة للحصول على المخطوطات والكتب المطبوعة، وقد بذلت جهود فردية وجماعية لفهرسة المخطوطات أو تصويرها تسهيلا لمهمة الباحثين، ومن بين الجهود الجماعية: جمعية التراث بالقرارة، قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، جمعية أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث بغرداية، ومن بين الجهود الفردية نذكر مجهود: المستشرق موتيلانسكي في ببليوغرافية مزاب عام 1885م، والمستشرق شاخت في مقاله المكتبات والمخطوطات الإباضية عام 1956م، دراسات "فون هاس"حول المخطوطات الإباضية عام 1974م، جهود الباحث عمرو خليفة النامي حول المخطوطات الإباضية المكتشفة حاليا وذلك عام 1970م، جهود الشيخ عبد الله كنطابلي بإنجازه بطاقات وصفية لمؤلفات القطب المخطوطة، جهود الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، جهود السيد الحاج سعيد محمد...وغيرهم ممن حاولوا التعريف بمخطوطات المنطقة لجمهور الباحثين والمهتمين.[1]

وكما أشرنا إلى أهم أماكن تواجد المخطوطات في الجزائر هناك أيضا **مخطوطات جزائرية خارج الجزائر**، ففي مكتبات تركيا مجموعة من المخطوطات الجزائرية قام الدكتور محمد بن عبد الكريم بفهرستها ونشر ذلك عام

[1] زهير باباو إسماعيل، "فهارس مخطوطات مكتبات وادي مزاب وقراءة وصفية لمحتوياتها"، **التراث**، مج.5، ع.4، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 15 ديسمبر 2015م، ص-ص.27-40

1972 م، ببيروت تحت عنوان: "مخطوطات جزائرية في مكتبات إستانبول"، وكذلك توجد مخطوطات جزائرية في فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، بريطانيا، هولندا، ألمانيا، تم الاستيلاء عليها أثناء فترة الاستعمار الفرنسي.[1]

[1] عبد الكريم عوفي، "التعريف بمراكز المخطوطات في الجزائر"، المقال السابق، ص.98

المحاضرة الثامنة: دراسة بعض مصادر تاريخ الجزائر الحديث وتحليلها ونقدها(مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824م أنموذجا)

هناك عدد كبير من المصادر الأجنبية حول تاريخ الجزائر الحديث، وقد وقع اختيارنا على مذكرات وليام شالر لدراستها لأهميتها وثرائها بالمعلومات التاريخية، وقد حاولنا التركيز على مسألة: **العلاقات الجزائرية الأمريكية من خلال شهادة القنصل وليام شالر 1816–1824م**

رصدت مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824[1] الكثير من الحقائق والمعلومات التاريخية عن الجزائر خلال الحكم العثماني، ومن بين ما رصدته جانبا من العلاقات الجزائرية الأمريكية التي كانت تتطور بشكل سريع، كما برز دور وليام شالر في التأثير على الأحداث باعتباره قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر، ومن خلال موقعه قام بتسجيل كل ما حدث أو على الأقل أهم ما حدث في هذا الجانب، فجاءت المذكرات حافلة بالمعلومات واستطاعت أن ترسم الملامح الرئيسة للعلاقات الجزائرية الأمريكية خاصة من 1815م إلى 1824م، وزادت ملاحقها[2] من قيمتها التاريخية ومن توضيح صورة العلاقة بين البلدين التي اتسمت بسيطرة الولايات المتحدة على زمام الأمور، ونقلت لنا المذكرات ظروف المعاهدات والتفاوض وطبيعة العلاقات بين البلدين، ومكنتنا من الإحاطة بالظروف والأسباب الكامنة وراء تراجع قوة الجزائر على الصعيدين العسكري والسياسي الأمر الذي استفادت منه الولايات المتحدة لصالحها، واستطاعت أن تقلب الوضعية التي اعتادت الجزائر أن تفرضها في مفاوضاتها مع الدول الأوروبية، وبذلك فقدت الجزائر موقع القوة الذي طالما

[1] وليام شالر، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

[2] كانت ملاحق المذكرات ثرية بالمعلومات ومن بين ما احتوته بخصوص العلاقات الجزائرية الأمريكية: الملحق ج: من المفاوضين الأمريكيين إلى داي الجزائر، من جيمس ماديصون رئيس الولايات المتحدة إلى سمو داي الجزائر، الملحق د: رسالة داي الجزائر إلى رئيس الولايات المتحدة، الملحق ز: من رئيس الولايات المتحدة إلى داي الجزائر، المفاوضون الأمريكيون في الجزائر، مذكرة القنصل الأمريكي..للإطلاع عليها ينظر: ملاحق مذكرات وليام شالر، المصدر السابق

مكنها من فرض شروطها التي لا تقبل المناقشة أحيانا، هذا ما نريد أن نبينه هنا محاولين الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف صورت مذكرات وليام شالر العلاقات الجزائرية الأمريكية خلال الفترة الممتدة من 1815-1824؟ وما هي الحقائق التاريخية التي رصدتها في هذا الجانب؟ وللإجابة على هذا مررنا بعدة نقاط رئيسة: فبعد التعريف بالمذكرات وصاحبها تناولنا: أولا طبيعة علاقة الجزائر بالولايات المتحدة قبيل 1812م، ثانيا إعلان الجزائر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية 1812م، ثالثا معاهدة الصلح 1815م بين الجزائر والولايات المتحدة وظروف عقدها، رابعا توتر الأجواء وضغط السلطات الجزائرية على القنصل وليام شالر، خامسا الزيارة الودية للأسطول الأمريكي أكتوبر 1816م وبوادر تجديد معاهدة الصلح، سادسا تجديد معاهدة السلام بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية 1816م.

1التعريف بمذكرات وليام شالر وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني:

تعد مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، مصدرا مهما لكتابة تاريخ الجزائر الحديث، وهي تؤرخ لفترة كانت الأيالة في مرحلة ضعف،[1] بعد أن كان لها أسطولا فرض هيبته في مجال الجهاد البحري والنشاط الاقتصادي،[2] وشهدت العلاقات الجزائرية الأوروبية والأمريكية تطورات كثيرة، لكنها بصورة عامة لم تكن في صالح الجزائر، فالأسطول الجزائري كان منهكا بالحروب مع كل من إيطاليا، إسبانيا، هولندا، بروسيا، الدانمرك، روسيا...وبعد ظهور الولايات المتحدة على مسرح الأحداث كانت علاقة الجزائريين بها تشهد تطورا سريعا لكن لم يكن في صالح الأيالة، وظهر القنصل شالر على مسرح الأحداث في الجزائر في هذا

[1] بلغت الجزائر قمة مجدها في ممارسة النشاط البحري، وكانت من أكبر القوى البحرية خلال القرن 16 و17 م، لكن تراجعت قوتها لاحقا لعدة أسباب داخلية وخارجية للتوسع في الموضوع ينظر: محمد بن سعيدان، "الأسطول البحري ودوره في أيالة الجزائر خلال القرن 11 هـ 17 م"، **الحوار المتوسطي**، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، مج.8، ع.2، ديسمبر 2017 وأيضا: محمد بن جبور، "البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني"، **عصور**، جامعة وهران، مج.7، ع.2، 2008-2009

[2] شهدت البحرية الجزائرية تطورات عدة عبر ثلاث قرون، خلال العهد العثماني، واتسمت بعدة صفات منها البعد الديني والتصدي للمسيحيين، والنشاط الاقتصادي، إذ أصبحت السيطرة على البحر مرتبطة بتحقيق المكاسب المادية، للتوسع ينظر: حمزة إسحاق زينوني، "تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، ع.9، جامعة المسيلة، سبتمبر، 2018، ص-ص 120-133

التوقيت، وترك لنا كتابا عن الجزائر فيه معلومات ونقد، وانطباعات...شكلت مصدرا مهما لفهم الجو العام السائد في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي مباشرة.[1]

والمذكرات قدمت حقائق وشهادات، كما احتوت على آراء ومواقف عدائية للجزائر حكومة وشعبا[2]، لكن العقل الواعي والذهنية المتقدة التي تدربت على النقد حتما ستبحث عن الحقيقة، وستميز بين الخطأ والصواب، والقراءة المعتمدة على روح النقد والتمييز ستمكن صاحبها من الفصل بين ميول الكاتب الشخصية، والحقائق التاريخية، وحينها يمكن الاستفادة من هذا المصدر المتميز في تاريخ الجزائر الحديث،[3] الذي احتوى على 350 صفحة بصورته المعربة، وضم سبع فصول وعددا من الملاحق، بدايته مقدمة المترجم إسماعيل العربي من الصفحة 5-18 والتي أرخت في 16 مايو 1977، ثم مقدمة المؤلف، من الصفحة 21-25، والتي أرخت في مارس 1825، وقد فصلت بين المقدمتين صفحتين كانت الصفحة الثانية لتدوين عنوان الكتاب الأصلي "مختصر الجزائر..."، **الفصل الأول**(من الصفحة 27إلى الصفحة 39) احتوى على عدة عناصر: حدود وامتداد مملكة الجزائر، المظهر العام للبلد، الجبال والمناخ، التربة، الحيوانات، الإنتاج الطبيعي، الأنهار، الشواطئ، الخلجان، الموانئ، التقسيم السياسي، المدن والسكان، **الفصل الثاني** (من الصفحة 39إلى الصفحة 71): الدين واللغة، شكل الحكومة، التبعية للإمبراطورية العثمانية، حكومات الولايات، المؤسسات السياسية والمدنية والقضاء، امتيازات وترخص الأتراك، المالية، الجيش، البحرية، القرصنة، ومبادئها السياسية المصرح بها، المعاهدات

[1] وليام شالر، المصدر السابق، ص-ص.5-14

[2] تجدر الإشارة أن أغلب المصادر الأجنبية كانت نظرتها للجزائر عنصرية، واتفقت على تشويه سمعتها، وكانت مثقلة بروح التعصب الديني، ونظرة الازدراء والكراهية للحكومة والشعب، فالجزائر عش العفاريت ومدينة الرعب ووكر اللصوص...، وهذا راجع لعدة عوامل منها: الصراع بين الإسلام والمسيحية، وقوة الجزائر البحرية التي شكلت شوكة في حلق أوروبا فكانت هذه المصادر تريد من خلال صوتها القضاء على هذه الشوكة، لكن رغم ذلك قدمت مادة علمية تاريخية لا غنى عنها في تاريخ الجزائر العثماني، للتوسع في الموضوع ينظر: عائشة غطاس، "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988 وأيضا: مولاي بلحميسي، "موقف الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988

[3] وليام شالر، المصدر السابق، ص.18

والعلاقات مع الدول الأجنبية، التحيات، المراسم، رمضان وعيد الأضحى، **الفصل الثالث**(من الصفحة 71 إلى الصفحة 107): الجزائر–موقعها، امتدادها، طبوغرافيتها وتحصيناتها، حاميتها، حكومتها، المدنية والعسكرية، ثروة السكان، أمن الأشخاص ورخاؤهم، أنواع السكان ومميزاتهم، حالة العلوم والمعارف، تعليم الأطفال وتربيتهم، الملابس، جمال النساء، تحسن عادات المسلمين، طريقة لباسهم، غذاؤهم، اليهود وأحوالهم المدنية والظلم الذي يعيشون فيه، الإفريقيون الأجانب الذين يعيشون في المدينة، الفنون الميكانيكية والمنتجات الصناعية، المنازل والطرق والأحياء السكنية، الخوف والخرافات عند الجزائريين، المباني العمومية والمؤسسات الدينية، حالة العبيد المسيحيين هنا في زمن الاسترقاق، التجارة، حياة البذخ في الجزائر وآثاره، مجتمع الوكلاء الأجانب، سهول متيجة، الموازين والمقاييس، **الفصل الرابع**(من الصفحة 107 إلى الصفحة 127): مختلف الأمم، أو القبائل التي تسكن المملكة، أصلهم المرجح، سلوكهم، شخصيتهم، دينهم، لغتهم، الأتراك، **الفصل الخامس**(من الصفحة 127 إلى الصفحة 185): حول نشاط الأسطول البحري أو قراصنة البحر وقطاع الطرق كما وصفهم، ويمكن أن نقول أنه سلط الضوء على سياسة الجزائر وطبيعة علاقتها بالدول الأوروبية، **الفصل السادس**(من الصفحة 185 إلى الصفحة 193): المصير المحتمل لهذا البلد الجميل، أعظم موقع في إفريقية لاستكشاف القارة ولنشر التجارة في الداخل، التأثير الذي يحتمل أن يكون على الحضارة نتيجة لاستقرار أمة أوروبية في إفريقية الشمالية وتحريم التجارة في الرقيق الأسود، **الفصل السابع**(من الصفحة 193 إلى الصفحة 259): يوميات شالر وهي مستخلص من اليوميات التي كان يسجلها في القنصلية الأمريكية بالجزائر...، وجاء بعده الملاحق(من الصفحة 259 إلى الصفحة 333)، وحتما المتصفح للكتاب وعناوين فصوله سيقف على أهميته وما ورد فيه من معلومات دقيقة.

ومذكرات شالر بالعنوان المعروفة به بعد الترجمة، قام بتعريبها والتعليق والتقديم إسماعيل العربي، عن الأصل الإنجليزي الذي نشر في بوسطن الولايات المتحدة جامعة كارولين الجنوبية، عام 1826، وحسب إسماعيل العربي وضعت للمذكرات ترجمة فرنسية نشرت في باريس عام 1830[1]، "ومما يضفي على هذه الترجمة أهمية خاصة في السياق السياسي والعسكري لاحتلال الجزائر، أن مترجمه M.E. Blanchiهو المترجم الرسمي للملك شالر العاشر الذي خطط حملة الجزائر، والفقرة التي وردت في مقدمة المترجم الفرنسي تدل بوضوح، على أن قيادة الجيش الفرنسي استغلت المعلومات الخطيرة التي يحتوي عليها الكتاب فقد جاء في صفحة 4 من المقدمة ما يلي: "وأما ما ذكره المؤلف عن موقع مدينة الجزائر، وامتدادها، وتحصيناتها، وضواحيها التي استكشف بعناية طبوغرافيتها، فهو دون شك، سيكون موضع تقدير خاص من ضباط الجيش، وسيجدون فيه عونا كبيرا لتوجيه العمليات العسكرية."[2]

لقد شكل الكتاب خطرا على الجزائر، فوزارة الحربية الفرنسية استغلته في احتلال الجزائر، وترجمت ما ورد فيه على أرض الواقع، ورأت فيه مصدرا هاما لا يقل أهمية عما كتبه فرنسيون آخرون، وعلى رأسهم الجاسوس بوتان، وبهذا أثبت شالر أهمية كتابه، وبأنه ملاحظ ومدون ممتاز، ترك مادة تاريخية قيمة عن الجزائر[3] في عدة جوانب. وجدير بالذكر أن شالر كان قد وصف في مذكراته منطقة ضعف الجزائر المتمثلة في سيدي فرج،كما وصف الطريق نحو مقر الحكم وكيفية السيطرة على المدينة بسهولة، وكانت الطريق التي وصفها هي نفسها التي سلكها

[1] أشار فاتح بلعمري أن كتاب شالر ترجم حين صدوره إلى الفرنسية بعنوان: Aperçu Historique sur l'état d'Alger ووضع في متناول وزارة الحربية الفرنسية، وبعد عام واحد من صدوره أعلنت فرنسا الحصار على الجزائر.ينظر: فاتح بلعمري، "حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي"، **مجلة معارف**، مج.9، ع.17، جامعة البويرة، ديسمبر 2014، ص.23.

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص.18، 20

[3] فاتح بلعمري، المقال السابق، ص.23.

الجيش الفرنسي لاحتلال الجزائر عام 1830، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن المذكرات كانت بمثابة دليل للقيادة العليا للجيش الفرنسي وحتما استفادت فرنسا منها.[1]

ولا يمكن إخفاء عنصرية وعدم حياد وليام شالر، ونظرة التعالي التي اتصف بها، كما أنه كان من دعاة الاستعمار حتى أنه دعا أكثر من مرة في مذكراته لاحتلال الجزائر والقضاء على حكم العثمانيين بها، مرة لتحسين أوضاعها ومرة أخرى لأن هذا الجزء الجميل من العالم لا ينبغي أن يبقى في يد العثمانيين، وذهب حتى لتحديد البلد ورشح بريطانيا لذلك،[2] وطالما وصف النشاط البحري للجزائر بالقرصنة التي تعني السلب والنهب وأن سياسة البلد وبحريته واقتصاده قائم عليها،[3] رغم أن النشاط البحري في الجزائر منذ بدايته مع الإخوة بربروس كان عبارة عن جهاد بحري ووقوف في وجه الصليبيين[4]، دافعه الأساسي الدين الإسلامي، ولم تكن الفوائد التي يتم كسبها هي الهدف الرئيس للبحارة،[5]ولم يختلف شالر في طرحه عن أغلب المصادر الأجنبية التي كانت نظرتها للجزائر عنصرية، واتفقت على تشويه سمعتها، وكانت مثقلة بروح التعصب الديني، ونظرة الازدراء والكراهية للحكومة والشعب، فالجزائر عش العفاريت ومدينة الرعب ووكر اللصوص...، وهذا راجع لعدة عوامل منها: الصراع بين الإسلام والمسيحية، وقوة الجزائر البحرية التي شكلت شوكة في حلق أوروبا فكانت هذه المصادر تريد

[1] وليام شالر، المصدر السابق، هامش الصفحة 77

[2] المصدر نفسه، ص.63، 192

[3] المصدر نفسه، ص. 58، 63، 64، 192

[4] مارست أوروبا المسيحية عملية القرصنة، وفي هذا الإطار حاول المسلمون التصدي لها كما كان لهم نشاطهم البحري أيضا فقام الصراع بين مجتمعين متنافسين المسلم والمسيحي، وحاول كل طرف احتكار المجال البحري، وسعى للحفاظ على نفوذه في عرض البحر، والتصدي لتوسع ونفوذ الطرف الآخر لتأمين مصالحه وتوسعاته وتجارته للتوسع في الموضوع حول القرصنة والصراع البحري ينظر: Braudel (F), **la Méditerranée et le monde Méditerranéen a l'époque de Philippe 2**, éd. Armand colin, Paris, 1987

[5] Moullay Belhamissi, **marine et marins d'Alger 1518–1830 navires et les hommes**.1, bibliothèque nationale d'Algérie, Alger, 1996, p-p. 11-12

من خلال صوتها القضاء على هذه الشوكة، لكن رغم ذلك قدمت مادة علمية تاريخية لا غنى عنها في تاريخ الجزائر العثماني.[1]

2التعريف بوليام شالر:

رغم أهمية التعريف بالكاتب في مثل هذه الدراسات إلا أن قلة المعلومات حوله شكلت عائقا كبيرا[2]، ويمكن وصف وليام شالر بصورة عامة أنه من رواد الدبلوماسية الأمريكية، سياسي وكاتب ومفكر أمريكي، ولد 1778أو 1773، فهناك اختلاف حول تاريخ مولده، في مدينة بريج بورث (Bridjport)بولاية كونتيكت(connecticut)ابن تيموني شالر وسيبال وارنر، انضم للبحرية الأمريكية في مرحلة شبابه، برتبة ضابط بين عامي 1803، 1808، مما مكنه من اكتساب خبرة في وصف البلدان جغرافيا وتحديد مواقعها الفلكية بدقة، اشتغل في السلك الدبلوماسي كقنصل عام في هافانا عاصمة كوبا قبل 1812، ثم تحول إلى الجزائر كمفاوض ممثل لبلده في معاهدات الصلح، ثم كقنصل عام للولايات المتحدة في الجزائر من 1818 حتى 1824 م، ليرجع بعدها إلى هافانا، ولعدة مرات تم استدعاؤه لتمثيل بلده والمشاركة في مختلف المفاوضات على المستوى الداخلي والخارجي، مات بداء الكوليرا في هافانا بكوبا في 29 مارس 1833، له مؤلفات أخرى إلى جانب مذكراته عن الجزائر.[3]

---

[1] للتوسع حول هذه النقطة ينظر: عائشة غطاس، "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، وأيضا: مولاي بلحميسي، "موقف الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988

[2] حسب ويكيبيديا الموسوعة الحرة: وليام شالر(Willim Shaler)دبلوماسي وكاتب أمريكي من مواليد نيويورك 1 يناير 1778، توفي في 29 مارس 1833.عن: https://arz.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ 15 أفريل 2024

[3] فتحي بودفلة، دراسات وبحوث تاريخية: قراءة في كتاب وليام شالر:
http://histoiralgerie.blogspot.com/2010/12/2.html بتاريخ: 15 أفريل 2024

وبخصوص علاقته بالجزائر لا يمكن إنكار عداوته لحكومة الجزائر، كما أنه لم يكن صديقا للشعب الجزائري، ولكن من العدل أيضا أن نعترف أنه اعترف في عدة مواقف بفضائل الجزائريين، وعلى الصعيد الرسمي، كان شالر من دعاة الاستعمار وقاد حملة تحريض ضد الجزائر فقد كان يشعر بالضيق ويجد أن من غير الطبيعي أن تتمتع الجزائر، بما تتمتع به على جميع الأصعدة، وأن على الدول القوية المسيحية خاصة بريطانيا، القضاء عليها وجعلها مستعمرة، وظهرت لهجة التهكم والتهجم على الحكومة وعلى الجيش البري والبحري، وجعل من استعمار الجزائر حلا للقضاء على العثمانيين وتقدم البلاد،[1] ووصف الجزائر بالبلد العاثر الحظ بسبب ما تمارسه حكومتها من ضغط، وربط استعادة مصيرها في المستقبل والتمتع بالتقدم بالتخلص من الحكومة، حينها ستكون مدينة الجزائر بفضل ما تتمتع به من موارد، ستكون واحدة من أغنى المدن التي تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط،[2] لقد تضمنت المذكرات دعوة صريحة للتخلص من حكومة الجزائر واحتلال البلد الذي قامت قوته على النهب والسلب"فالعتاد الحربي الموجود في الجزائر، مثل الخزينة العمومية التي هي نتاج النهب والسلب الذي دام ثلاثة قرون، والتي يقال أنها تحتوي على 50مليون دولار، كل ذلك سيصبح بطبيعة الحال، غنيمة في يد المنتصر، بحيث يعوضه عن النفقات الحربية التي تكبدها في عملية الغزو."[3]وهذا مثال على بعض ما جاء في عمل شالر وفيه دعوة صريحة لاحتلال الجزائر، وادعى بعد ذلك أنه لا يعلم عدد القوات الضرورية التي يمكنها احتلال الجزائر، ولكنه إذا تولت بريطانيا هذه العملية، فستجد في سجلات غزواتها وتوسعاتها في آسيا، سوابق لكل المشاكل التي قد تواجهها،[4] ولا نعلم لماذا رجح بريطانيا دون غيرها من الدول الأوروبية، وقد يكون ذلك راجع للقوة التي تتمتع بها.

[1] وليام شالر، المصدر السابق، ص-ص.14-16

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص.106

[3] المصدر نفسه، ص.192

[4] المصدر نفسه، المصدر السابق، ص.192

لقد أكد وليام شالر أن سياسة حكومة الجزائر وعائداتها وثروتها وعلاقاتها الخارجية كلها قائمة على القرصنة، ولم يكن محايدا في طرحه، لكن ما نستطيع أن نؤكده حول هذه النقطة أن حركة الجهاد البحري للدولة العثمانية عامة والجزائر خاصة، قامت كرد فعل على عمليات القرصنة ولصوصية البحر التي مارستها الدول المسيحية،[1] أولا وبذلك لم تشكل الجزائر استثناء بل كانت تتفاعل مع ما كان يحدث على مستوى الأحداث والعلاقات الخارجية، لكن نظرة القنصل كانت تحت سيطرة الميز العنصري، ونظرة التعالي على الجزائر.

3العلاقات الجزائرية الأمريكية من خلال مذكرات وليام شالر:

3.1 طبيعة علاقة الجزائر بالولايات المتحدة قبيل 1812:

عرفت علاقة الجزائر بالولايات المتحدة الأمريكية تطورات عديدة[2] وسارت على نحو خاص بعد أن تمكنت هذه الأخيرة من الحصول على استقلالها والحفاظ عليه والوقوف في وجه بريطانيا العظمى، وتأرجحت بين فرض الأيالة لسيطرتها على السفن الأمريكية، ثم السلم وعقد معاهدة الصلح، ثم إعلان الحرب بصورة مفاجئة من طرف الجزائر، وقد أشار شالر لهذه التقلبات موضحا أنه في بداية الأمر ظلت التجارة البحرية الأمريكية تواجه التهديد حتى سنة 1793م، ومن خلال عدة ضربات متتالية تمكنت السفن الجزائرية خلال عام 1793م من أسر إحدى عشرة سفينة تجارية أمريكية وأخذتها مع بحارتها للجزائر، ونتج عن هذا الحادث زيادة في عدد الأسرى الأمريكيين[3] في الجزائر حيث وصل عددهم مائة أسير وثار الرأي العام في بلادهم من أجلهم، وبعد أن

---

[1] حليم سرحان، "لمحة عن الجهاد البحري الجزائري أثناء الحكم العثماني"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، مج.12، ع.1، جامعة المسيلة، 2022، ص.1035.

[2] العلاقات الجزائرية الأمريكية قديمة وتعود حسب بعض الباحثين إلى ما قبل سنة 1690م وليس إلى سنة 1785 كما هو شائع وسارت الأمور لصالح الجزائر، وتم عقد معاهدة السلام والصداقة بين الجزائر والولايات المتحدة عام 1795 للمزيد ينظر: علي تابليت، "معاهدة السلام والصداقة بين الجزائر والولايات المتحدة سنة 1795"، **حوليات جامعة الجزائر**، مج.4، ع.1، جامعة الجزائر، 01 جويلية 1989، ص.93 وما بعدها

[3] للاطلاع على مسألة الأسرى الأمريكيين في الجزائر ينظر: جيمس ولسن ستيفن، **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785–1797**، ترجمة: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2007

خرجت الولايات المتحدة من المشاكل التي نتجت عن حرب الاستقلال(1776)أمنت وضعها السياسي بواسطة دستورها (الدستور الفيدرالي 1787)، ولكن البلد كان تحت وطأة عبء دين قومي ثقيل ولم يمتلك قوة بحرية، وكانت الحرب ضد الجزائر كأنها كارثة وطنية كما وصفها شالر، ولم يكن أمام الولايات المتحدة من وسيلة إلا التفاوض لتحرير أسراها ومنع اعتداءات أخرى على سفنها، ومن أجل ذلك كلف الكولونيل "هامفري" الوزير الأمريكي في ليشبونة من قبل رئيس الولايات المتحدة بالدخول في مفاوضات مع الجزائر، وكلف جوزيف "دونالدصون"بزيارة الأيالة لعقد معاهدة صلح، تعهدت الولايات المتحدة بموجبها بدفع مبلغ 725000 دولار للجزائر مقابل فدية الأسرى الأمريكيين وعلى سبيل الهدايا والمنح وغيرها مما هو متعارف عليه حينها،[1] ومن جهته وعد داي الجزائر بمساعدة الولايات المتحدة للوصول إلى عقد معاهدات صلح مع كل من أيالة طرابلس وأيالة تونس.[2]

كانت الحالة المالية للولايات المتحدة مضطربة بالإضافة إلى مشاكل الثقة فيها كدولة، التي عانت منها في تلك الفترة، فواجهت الحكومة صعوبة كبيرة في جمع المبالغ الضرورية للوفاء بالتزاماتها لتنفيذ المعاهدة، وكان التأخير في الدفع باعثا للشك بالنسبة للأيالة، مما دفعها لتقديم مطالب جديدة وعلى حد معرفة شالر بالأمور فإن "جويل بارلو" الذي تم تعيينه مفوضا مؤقتا من قبل الولايات المتحدة، قد سوى المسألة عام 1796م ودفع المبلغ المنصوص عليه في المعاهدة التي عقدها "دونالوصون" في 1795 وقد وصل المبلغ إذا تم حساب الخسائر التي تكبدتها الولايات المتحدة لجمعه–حسب شالر– إلى حوالي مليون دولار، وبموجب هذه المعاهدة تعهدت

[1] لمزيد من التفاصيل حول العلاقات الجزائرية الأمريكية في بداياتها والمفاوضات ينظر: جيمس كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، الفصل العاشر والحادي عشر خاصة

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص–ص 129–130

الولايات المتحدة بدفع ضريبة سنوية للجزائر قدرت ب12000"سكوين"[1] وهي حسب شالر تكاد تكون ضعف القيمة التي تحددها المعاهدة، وهناك أيضا الهدايا التي تقدر حسب قاعدة عامة، واضطرت الولايات المتحدة تحت وطأة عدة ظروف لأن تدفع ضرائب للجزائر، وعندما اتسعت التجارة الأمريكية وازدهرت زادت المطالب الجزائرية وقابلتها الولايات المتحدة بالاستجابة لكي تتجنب انقطاع العلاقات، إذ سينتج عنه وقوع خسائر فادحة على مستوى تجارتها وفقدانها لسمعتها السياسية، وكانت عموما هذه هي طبيعة العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة، لكن الجزائر أعلنت الحرب على الولايات المتحدة فجأة دون مبرر حقيقي أو خطأ واضح من طرف الولايات المتحدة.[2]

3.2 إعلان الجزائر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية 1812: كانت المعاهدة الأولى التي عقدتها أمريكا مع الجزائر في صالح الجزائريين، وتحملت الولايات المتحدة شروطها تحت وطأة ضربات الداي الحديدية للسفن التجارية الأمريكية التي تم أسرها، [3] فكانت على إثر ذلك في نوع من التبعية حالها في ذلك حال عدد من الدول الأوروبية، لكن الوضع لم يدم على حاله خاصة بعد أن سوت الولايات المتحدة الأمريكية وضعها مع بريطانيا، وقضت على القضايا العالقة بينهما، فوجهت بعدها كل اهتماماتها إلى الجزائر التي ساهمت في دعم بريطانيا واستجابت لندائها وأعلن الداي الحاج علي الملقب بالنمر لقسوته الحرب على الولايات المتحدة،[4]عام 1812م فلماذا يا ترى أعلنت أيالة الجزائر الحرب على الولايات المتحدة في هذا التوقيت؟

[1] عملة من الذهب ذات قيمة غير ثابتة كانت تستعمل في الجزائر وفي الدويلات الإيطالية وفي تركيا، وحسب شالر أنها كانت في ذلك الوقت تساوي دولارين في الجزائر 'بالدولار الإسباني)ينظر هامش وليام شالر، المصدر السابق، ص.130

[2] المصدر نفسه، ص-ص.130-131

[3] الجيلالي شقرون، "اتفاقية السلام والصداقة الأمريكية الجزائرية الأولى 05 سبتمبر 1795"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج.2، ع.1، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 01 جوان 2010، ص.41 وما بعدها

[4] وليام شالر، ص.162

أشار شالر أن العلاقات الجزائرية كانت متوترة مع كل من هولندا وفرنسا وإسبانيا إلى درجة كبيرة، وأهان الداي علم الإمبراطورية العثمانية نفسه،[1]لكن العلاقات مع بريطانيا كانت على ما يرام خلال هذه الفترة، وكانت بريطانيا استولت على جزيرة صقلية، وأرادت حماية الملاحة وسكان شواطئ الجزيرة من هجمات البحرية الجزائرية، بحجة أن الموانئ الإيطالية التي تحتلها فرنسا تتمتع بنفس الحماية، واستعملت بريطانيا نفوذها لدى الأيالة وتمكنت من الحصول على هدنة لصقلية، كما حصلت على تحرير الصقليين الأسرى في الجزائر، ولم يكن واضحا لشالر أن هذا الأمر كان مجانا أو بمقابل، وفي شهر أبريل 1812 تلقى الداي رسالة من الأمير الوصي على عرش انجلترا، وحولها إلى الكولونيل "لير"قنصل الولايات المتحدة العام في بلاد المغرب حينها، بحجة أنه يريد الحصول على ترجمة دقيقة باللغة الفرنكية، وكان أهم ما ورد في الرسالة الرسمية أنها أكدت على الصداقة الوثيقة بين بريطانيا والجزائر وأكدت جسر التحالف بينهما، والتزام بريطانيا بالتحالف والدفاع عن الجزائر بواسطة الأسطول البريطاني الذي يوصف بأنه سيد جميع البحار ويلقي الرعب في الدول البحرية، شرط أن تحترم الأيالة معاهدات الصداقة القائمة بين البلدين، وأوضحت الرسالة مدى تقدير بريطانيا لأيالة الجزائر، على أمل أن لا يسمح الداي لأعداء بريطانيا العظمى بالمساس بعلاقات التفاهم والانسجام القائمة بين البلدين، وقد تم تحرير هذه الرسالة في قصر "كارلتون" في الرابع من شهر يناير 1812م[2]وتجدر الإشارة هنا أن بريطانيا لم تكن على وفاق مع الولايات المتحدة وكان من مصلحتها أن تكسب تحالف الأيالة في صراعها ضدها.

وبالإضافة إلى التحالف الذي جمع بريطانيا والجزائر، أشار شالر أن الجزائريين بلغوا قمة مجدهم وقوتهم في هذه الفترة، فكانت الدول البحرية تسعى للحصول على الحظوة لديهم ، خاصة بعد أن استولوا على بارجة أوروبية في إحدى المعارك، كما انتصروا في حربهم ضد تونس انتصارا مذهلا، وأسروا في إحدى معارك هذه الحرب بارجة

[1] المصدر نفسه، ص.164

[2] المصدر نفسه، ص-ص139-140

أخرى، وتجاوزوا الباب العالي بأسرهم عددا من السفن اليونانية التي كانت تحمل علم السلطان، "كان الجزائريون عند هذه المرحلة يتبجحون بأنهم أعظم قوة بحرية بعد بريطانيا العظمى"وفي هذه الظروف قرر الداي إعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية.[1]

الحرب التي أعلنها الداي على الولايات المتحدة الأمريكية حسب شالر حملت في طياتها كارثة على الجزائر لن تنتهي آثارها "إلا بفقد هذا البلد استقلاله والقضاء على قرصنته"، وكان بعض اليهود الذين يتمتعون بمكانة كبيرة لدى الداي والذين كانوا على رأس شركة تجارية قوية وراء نصيحة الداي بالحرب[2]، إذ أخبر هؤلاء اليهود الداي بقوة التجارة الأمريكية ومدى اتساع نطاقها، وكيف أن الأمريكيين يتحملون بصبر أعمال القرصنة التي تقوم بها سفن الدول المتحاربة ضدهم، وقادهم خيالهم أن الجزائر تستطيع أن تقوم بنفس الأمر، ولن يكون أمام الولايات المتحدة إلا الخضوع، وستحصل الأيالة على مبلغ كبير من المال مقابل تجديد معاهدة السلام بين البلدين، لكن يبدو أن حسابات اليهود لم تكن دقيقة حسب شالر حتى وإن كانت واقعية، ففي الوقت الذي كانوا يسدون فيه النصائح للداي كانت الولايات المتحدة قد أعلنت الحرب على بريطانيا، وهذا سيحتم على انجلترا إخراج سفنها الحربية من البحر الأبيض، ومصير الحرب بين الطرفين لا تستطيع الجزائر السيطرة عليه، وإعلان الحرب من طرف الداي على الولايات المتحدة في ذلك التوقيت كان عبارة عن عدوان واضح ومتعمد.[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص-ص140-141

[2] لقد اشتكى كاثكارت من سوء تدبير اليهود وتأثيرهم السلبي على مسار العلاقات الجزائرية الأمريكية قبل أن يشتكي مواطنه شالر، ويبدو أن عملهم في الوساطة والترجمة ساهم في أن يكونوا مقربين من قصر الداي واطلاعهم على الأمور السياسية، ولكنهم في كل هذا راعوا مصالحهم الخاصة فقط مما اضطر كاثكارت للقول:"...ولكن مصلحة اليهودي الجزائري تجعله ينسى إلهه وتجعله يتغاضى عن جميع الاعتبارات الإنسانية والإلهية معا."للتوسع في مجريات المفاوضات وتدخل اليهود في العلاقة بين الولايات المتحدة والجزائر ينظر: جيمس كاثكارت، المصدر السابق، الفصل العاشر والحادي عشر، وص.183

[3] وليام شالر، ص.141، 142

ولم يتردد وليام شالر في التهجم على شخص الداي الحاج علي فوصفه بالغرور وأن هوسه هو ما دفع بالأيالة بإعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية وحتى هولندا، وإهانة علم الإمبراطورية العثمانية نفسه، وتوترت العلاقات بين الجزائر وفرنسا وإسبانيا إلى درجة كبيرة، مما جعل مهمة الداي الذي جاء بعده وهو عمر باشا صعبة للغاية، فيمكن القول حسب شالر أن الداي الحاج علي مسؤول بصورة كبيرة عن توتر العلاقات الجزائرية الأمريكية.[1]

وصلت سفينة أمريكية تسمى "اللغاني"إلى ميناء الجزائر في 17 يونيو 1812، محملة بالضرائب السنوية المطلوبة للجزائر من الذخيرة والعتاد البحري، واستقبلت السفينة بكل رضا وبدأت عمليات تفريغ الشحنة، وأرسل الداي بمن يحمل إليه كل فواتير المشحونات، لكن ثار سخطه لما اطلع عليها، لأنه لم يجد كميات البارود والكابلات المطلوبة كاملة وزاد غضبه حينما عرف أن السفينة نفسها قد حملت كميات من البارود لسلطان المغرب الأقصى في جبل طارق، كما حملت على متنها بضائع أخرى لشركات وأفراد، واعتبر الداي أن هذا السلوك مهين له وأن الولايات المتحدة أخطأت في حقه، وبعدها طلب من قنصل الولايات المتحدة بدفع المبلغ المستحق على بلده بالمال العين، وبأن يرحل عن الجزائر في 25 من الشهر نفسه رفقة عائلته وكل المواطنين الأمريكيين الذين يعيشون في الجزائر، ورغم احتجاج القنصل على هذا الإجراء لكن دون جدوى لأنه رحل في اليوم المحدد.[2]

قام البحارة الجزائريون بأسر سفينة صغيرة ذات ثلاث صواري تابعة للولايات المتحدة ومعها بحارتها، وكان ذلك في منتصف شهر سبتمبر 1812، واعتبر شالر أن هذه الغنيمة الضئيلة هي كل ما حصلت عليه الأيالة نتيجة إعلانها الحرب بكل كبرياء وغطرسة وعجرفة على الولايات المتحدة، وتبخر الأمل في الحصول على غنائم

[1] المصر نفسه، ص.164

[2] المصدر نفسه، ص.142، 143

كبيرة، وفي السنة الموالية(1813)قامت الحكومة الأمريكية بمحاولة تحرير أسرى السفينة مقابل الفدية، ولكن الداي رفض المفاوضات معتبرا أن قيمة هؤلاء الأسرى أكبر من أية فدية،[1]

انتهت الحرب الأمريكية الإنجليزية ومواجهتهما البحرية بالتعادل ولم تتمكن بريطانيا من السيطرة على أمريكا، وعقد الصلح بين الطرفين في 24 ديسمبر 1814م، واعتبر شالر أن بانحلال "امبراطورية نابليون" وعقد الولايات المتحدة الصلح مع بريطانيا انطفأت آخر شرارة للحرب التي نشرت الخراب والدمار في الممالك المسيحية، لم تبق إلا الجزائر "وقراصنتها الملعونين لتعكر صفو السلام والهدوء الذي عاد للإنسانية" حسبه، وفي هذه الظروف تم عقد مؤتمر "فيانا" نهاية 1814 واستمرت جلساته حتى بداية 1815، ونافش كل القضايا المهمة لأوروبا، واقتنع ساسة الولايات المتحدة في هذه الظروف أن تحرير قوتهم البحرية من الحرب مع انجلترا قد أصبح عاملا قويا في مواجهتهم البحرية مع الجزائر، ولم تعد الشروط التي تمليها الجزائر عليهم مقبولة، خاصة أن الأسطول الجزائري كان حينها منهكا من الحروب مع عدد من الدول منها إيطاليا، وإسبانيا، وهولندا، وبروسيا، والدانمرك، وروسيا...وبالمقابل انطلقت الولايات المتحدة في طريق بناء نفسها، وبنت أسطولا جهزته بأحدث الأسلحة لمواجهة كل المخاطر التي كانت تعترض سفنها التجارية في البحر الأبيض وفي المياه الشرقية من المحيط الأطلسي من أسطول الجزائر. [2]

3.3معاهدة الصلح 1815 بين الجزائر والولايات المتحدة وظروف عقدها: قرر الكونجرس الأمريكي خلال إحدى اجتماعاته أنه لم يعد يحتمل دفع الضريبة للجزائر، وأوصى الرئيس الأمريكي "ماديصون"الكونجرس بإعلان الحرب عليها في 23 فبراير 1815م، وفي شهر مارس الموالي خول الكونجرس رئيس الولايات المتحدة السلطة لتجهيز أسطول وتعبئته واستخدامه بالطريقة التي يراها لشن هجمات ضد الجزائر، وإرسال القوات إلى

[1] المصدر نفسه، ص.143

[2] المصدر نفسه، ص-ص.5-6، 128، 129، 144، 145

البحر الأبيض المتوسط لإرغامها على عقد الصلح، أو القيام بحماية السفن التجارية الأمريكية ضد القرصنة، وعقب ذلك انطلقت قوة بحرية كبيرة تولى قيادة جزء منها الكمودور "وليام بينبردج"(Bainbridge)ضمت هذه القوة عشر سفن حربية من بينها ثلاث بوارج، وتولى قيادة الجزء الآخر الكمودور "استيفان ديكاتور"(Decature)وهو الذي كان يحمل معه على متن بارجة الأميرال وليام شالر الذي وقع اختيار رئيس الولايات المتحدة عليه وعلى القبطان "بينبريدج والقبطان "ديكاتور"قائدي الأسطول وكلفوا بمهمة عقد صلح مع الجزائر، وأصدر وزير الخارجية قبل إقلاع الأسطول الأمريكي تعليمات إلى المسؤولين بضرورة عقد صلح مع الجزائر في أقرب فرصة، والعمل على إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين الموجودين في الجزائر، لكن دون دفع ضرائب أو فدية باستثناء تقديم هدايا للداي مرة واحدة في العام، وقضت التعليمات التي يحملها "ديكاتور" بأن يعمل على معرفة المنطقة التي ينشط فيها الأسطول الجزائري عند وصوله إلى جبل طارق، وفي حالة ما إذا كانت بعض قطعه تعمل في المحيط الأطلسي أن يقوم بأسر هذه القطع أو تدميرها، وعند وصوله إلى الجزائر تم تكليفه بالدخول في مفاوضات مع الداي مباشرة.[1]

لقد كانت مطالب الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المرحلة تركز على أن تكون شروط الصلح مشرفة لها سواء تمت بواسطة الحرب أو دونها وظهر ذلك في تعليمات وزير الخارجية بهذه العبارات:"مهما يكن الوقت الذي تبدأ فيه المفاوضات، وسواء أكان ذلك قبل الالتجاء إلى الحلول المتطرفة(الحرب)، أم بعدها، يجب أن تكون شروط الصلح مشرفة للولايات المتحدة."[2] وعند وصول قوة "ديكاتور"البحرية إلى جبل طارق في 15 يونيو، علم أن بعض قطع الأسطول الجزائري قد دخلت المحيط الأطلسي فعلا. ولكنها عادت إلى البحر المتوسط، وبالاعتماد على المعلومات التي جمعها "ديكاتور"اتجه إلى المنطقة التي يحتمل أن تكون قطع الأسطول

[1] المصدر نفسه، ص.6، 146

[2] المصدر نفسه، ص.7

الجزائري فيها، وفي 16 يونيو 1815رأت البارجة الأمريكية "كونستليشين"بارجة على مقربة من رأس "جاتا"، ولم تكن هذه البارجة سوى بارجة الأميرال الجزائرية "مشهودة" التي كانت تحت قيادة القبطان الكبير "الريس حميدو" وكانت متجهة نحو الجزائر، فشرع الأسطول الأمريكي في مطاردتها ولما أراد اللحاق بها حولت طريقها إلى الشواطئ الإسبانية، ولكن الأمريكيين قطعوا الطريق عليها واستشهد في هذه المواجهة "الريس حميدو"[1] في شهر يونيو(جوان) 1815، وأسدل الستار بذلك على واحد من أهم أساطير البحار،[2] القائد المعروف بانتصاراته والمشبع بروح القتال والبسالة،[3]ارتقى إلى مركز القيادة بسبب ما كان يتمتع به من الذكاء الحاد والشجاعة الخارقة،[4]وقد سبق له أن أسر إحدى السفن الأمريكية عام 1793، وساهم في إجبارها على الاعتراف بسيطرة الأيالة الجزائرية على البحر الأبيض المتوسط،[5] ولا يتسع المجال للإشادة ببطولته لكن ما يمكن تأكيده أن استشهاده كان أكبر خسارة للبحرية الجزائرية.

اكتفى شالر بإشارة بسيطة للمعركة واستشهاد الريس حميدو رغم أهميتها، ولم يتعرض لمقاومة سفينته، في حين أشارت بعض المصادر العربية لجزء من تفاصيل المعركة، حيث أحاط الأسطول الأمريكي بسفنه العشر بسفينة الريس حميدو، وبدأ القتال غير المتكافئ فأصابت الريس قذيفة(كورة) وقسمته إلى نصفين، واستشهد في أول القتال، فقام خليفته أحمد ولد عمر المدعو الباش رايس بإلقائه في البحر، وواصل القتال مدة خمس ساعات، واستشهد الكثير من المسلمين، وتكسرت السفينة (الفركاطة)ودخل الماء خزينة البارود، وأصيب الكثير من

[1] حميدو بن علي(1770-1815) من أصل جزائري اشتهر بالشجاعة وله بطولات كثيرة في عالم البحار للمزيد ينظر: علي تابليت، "من أبطال البحرية الجزائرية 1770-1815"، **المصادر**، مج.16، ع.1، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام 1954، الجزائر، 30 جوان 2017، ص-ص. 395-435

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص.7، 52

[3] Albert Devoulx, **le Rais Hamidou notice biographique**, typographie Adolph Jourdan; Alger, 1859, 1859, p-p. 16-17

[4] وليام شالر، ص.52

[5] Roland Courtinat, **la piraterie barbaresque en méditerranée XVIe XIXe siècle**(2000), 2003, p-p.35-36

البحارة بجروح خطيرة، وهجم الطاقم الأمريكي على السفينة وأسروها، وقد اغتاظوا غيضا شديدا لأنهم لم يأسروا الريس حميدو ولم يجدوا حتى جثته، حتى قيل أنهم صاروا يضربون بأرجلهم، وتم أسر بقية البحارة واقتيدت السفينة إلى قرطاجنة بإسبانيا.[1]

ولم تتوقف الأحداث عند هذا فبعد يومين من هذه المعركة التي خسرت الجزائر فيها قبطانها العظيم "الريس حميدو"، اكتشف الأسطول الأمريكي سفينة حربية أخرى جزائرية، ذات صاريتين، ولما تمت المواجهة بين القوتين التي اتسمت بالشدة، انتهت الأمور في غير صالح الجزائر من جديد، ووقعت السفينة الجزائرية في الأسر، وبانتصار الولايات المتحدة الأمريكية في المواجهتين البحريتين ووقوع السفينتين في أيديهم، ضمن الأمريكيون بهذا موقع قوة في التعامل مع الجزائر، وتم إيداع السفينتين في ميناء قرطاجنة بإسبانيا، واتجه بعدها الأسطول الأمريكي إلى الجزائر حيث عقد قائده العزم على الدخول في مفاوضات مع الداي عمر باشا.[2]

بعد وصول "ديكاتور"للجزائر في 29 يونيو 1815م أرسى الأسطول في الخليج، ورفع علما أبيضا بالإضافة للعلم السويدي على بارجة الأميرال، وكان يقصد من وراء هذه الإشارة أنه جاء للتفاوض طالبا الاستعانة ووساطة قنصل السويد، وبعدها صعد قنصل السويد ورافقه أمير البحرية الجزائرية إلى ظهر البارجة الأمريكية "لاجيرير"، وسمعا الأخبار المتعلقة باستشهاد "الريس حميدو" وأسر السفينتين: "مشهودة واستوديو"، حيث أبلغهما الأميرال "ديكاتور" بكل شيء، ووقعت الأخبار كالصاعقة على الجزائر.[3]

ولم يتوقف الأمر عندها بل كانت هذه الأخبار الكارثة، مقدمة لضغوط سياسية ربما لم تشهد الجزائر مثلها قبلا، واستفسر الطرف الجزائري عن شروط الصلح التي يريدها الأمريكيون، فكان رد كل من وليام شالر

[1] أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168–1246 هـ./1754–1830 م**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص-ص. 117-118

[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص.7، 146، 147

[3] المصدر نفسه، ص.8

وديكاتور بإرسال مذكرة للداي مؤرخة بـ29 يونيو 1815، أهم ما ورد فيها أن رئيس الولايات المتحدة قد عينهم للتفاوض مع الداي في شؤون السلم، وأنهم طبقا للتعليمات التي يحملونها مستعدون للدخول في مفاوضات يشترط أن تكون عادلة ومشرفة لاستعادة السلام والتفاهم بين البلدين، وأنه من الواجب التفاوض على قدم المساواة بين الطرفين، وبنفس الشروط التي تعاقدت بها الدول الأكثر رعاية(فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص)، وأنهم لن يوافقوا على أية مادة تنص على دفع ضريبة بأي شكل من الأشكال وأرسلت للداي المذكرة[1]، كما أرفقت المذكرة برسالة موقعة من رئيس الولايات المتحدة وموجهة إلى الداي، من بين ما تضمنت تذكير بإعلان أيالة الجزائر الحرب على الولايات المتحدة وما أسفر عنه من تجاوزات، لذلك أذن الكونجرس الأمريكي في دورته الأخيرة بشن أعمال العدوان ضد الحكومة الجزائرية، لكن الأسطول الحربي المكلف بالحرب سيحمل بديلا عنها وهو السلام، والخيار راجع للداي في اختيار أحد الطريقين، ومع ذلك فالسلام الذي تنشده الولايات المتحدة مشروط"بحيث لا يطالب أحدهما بأكثر مما هو مستعد لمنحه للآخر" [2]، تسلم الطرف الجزائري والسويدي الرسالة وعادا أدراجهما نحو البر، وفي اليوم الموالي عادا مجددا إلى البارجة "لاجيرير"وهما يحملان إذنا بالمفاوضات مع الطرف الأمريكي، لكن الواقع أن الطرف الجزائري كان في موضع ضعف لما حدث في عرض البحر، كما أن قوة الأسطول الأمريكي ومدافعه الموجهة نحو المدينة أثرت سلبا على مجرى التفاوض وكانت لصالح الأمريكيين، وعوضا عن المحادثات والمساومات التي كان الطرف الجزائري ينوي إجراءها، أخذ "ديكاتور"ورقة من درج مكتبه وكانت عبارة عن مشروع المعاهدة جاهز للتوقيع وتم تسليمه للطرف الجزائري.[3]

[1] ينظر الملحق ج "من المفاوضين الأمريكيين إلى داي الجزائر" التوقيع: شالر، ستيفان ديكاتور على متن البارجة"لاجيريير" 29 يونيو 1815، وليام شالر، المصدر السابق، ص.281

[2] ينظر نص الرسالة في الملحق المعنون: من جيمس ماديصون رئيس الولايات المتحدة إلى سمو داي الجزائر، حرر في واشنطون في 12 أبريل 1815، التوقيع جيمس ماديصون الرئيس جيمس مونرو وزير الخارجية، بمذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص-ص283-284

[3] المصدر نفسه، ص.8

وكانت الجزائر الطرف الخاسر في هذه المفاوضات، فبينما كانت تعتقد أنها ستناقش قيمة الضريبة التي ستدفعها الولايات المتحدة الأمريكية جراء عدوانها على السفينتين الجزائريتين، إذا بها تصدم بالشروط الأمريكية التي قررت إلغاء الضريبة الأمريكية المتفق عليها سابقا، وضرورة تحرير الأسرى الأمريكيين دون فدية، بل وأيضا تدفع الجزائر تعويضا قدره عشرة ألاف دولار، مقابل استيلائها على السفينة "أيدوين"، وتحت وقع صدمة الطرف الجزائري الذي لاحظ أن هذه الشروط لم تشهدها الجزائر قبلا مع أية دولة أخرى، وشكك أن يقبلها الداي، سعى لاستعادة السفينتين الأسيرتين عند الطرف الأمريكي، وهو ما استجاب له الطرف الأمريكي لأنه كان يعتبرهما لا قيمة لهما عند الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك انتهت الجولة الأولى من المفاوضات، وطالب الطرف الجزائري بهدنة للمزيد من التفكير، لكن الطرف الأمريكي رفض رفضا قاطعا مهددا بالاستيلاء على قطع الأسطول الجزائري كغنيمة حرب إن ظهرت في الأفق قبل توقيع المعاهدة وإطلاق سراح الأسرى، وفي نهاية الأمر توصل الطرفان إلى حل وسط تمثل في وقف أعمال الحرب عندما يغادر اليابسة مركبا حاملا العلم الأبيض، في طريق عودته إلى البارجة الأمريكية، وقدم القنصل السويدي وعدا بأن العلم الأبيض لن يرفع على المركب إلا إذا وقع الداي على المعاهدة، ووضع الأسرى الأمريكيين في المركب، وهو ما حدث فعلا، إذ لم تمض إلا ثلاث ساعات على هذه المقابلة حتى رجع المركب حاملا الأسرى الأمريكيين ونسخة من المعاهدة الموقعة من طرف الداي، هذه السرعة أنقذت "طرادا" التي ظهرت والمركب في طريقه نحو البارجة، وكان من الممكن أن تقع غنيمة في يد الأمريكيين لو تأخر المركب في الرجوع، واعتبر وليام شالر أن بهذا قد تم عقد معاهدة الصلح الجديدة بين الجزائر والولايات المتحدة في 30يونيو 1815[1] رغم أن الأمر بالنسبة للجزائر كان عبارة عن ضغط ولم يكن لها الخيار في أمرها.

[1] وليام شالر، المصدر السابق، ص.9، 56، 62، 147

وشهد اليوم الذي تم توقيع المعاهدة نزول وليام شالر إلى البر ليشغل منصب القنصل العام في الجزائر، وهو اللقب الذي منحه له رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في حال توقيع معاهدة السلام،[1] واستقبله الداي استقبالا رسميا حسنا وكأنه يمثل دولة صديقة[2]، ولم يكن على متن سفينة حربية فرضت معاهدة مهينة على الجزائر، وبعدها بعث القنصل شالر إلى وزير الخارجية بتقرير ورد فيه:"لقد سارعت الأيالة إلى تنفيذ شروط المعاهدة وذلك بقدر ما يتوقف الأمر على إرادة المسؤولين فيها، لقد بعثوا إليّ بمائة وسبعة وعشرين بالة من القطن، وبعشرة آلاف دولار نقدا، كما تقضي أحكام المعاهدة(المادة14)، واعتبرت هذا العمل وفاء كاملا بنصوص المعاهدة.".[3]

وكان من بين أولى مهام شالر بعد استقراره رسميا في منصب القنصل العام أنه وجه على متن سفينة ذات صاريتين تسمى"إبيرفيي"(Epervier)نسخة من المعاهدة الجديدة التي تم توقيعها لكي تعرض للتصديق عليها من الحكومة،[4] وأشارت مقدمة المترجم أن السفينة اجتازت مضيق جبل طارق لكن لم يسمع عنها أي خبر لاحقا ويبدو أن السفينة غرقت بالوثيقة التي تحملها في إعصار اجتاح الشواطئ الغربية للمحيط الأطلسي في ذلك الوقت.[5]

لقد كان شالر في شدة الاستغراب فحسبه تعاقبت الأحداث بصورة سريعة وجد صعوبة في تصديقها، ورأى أن الجزائر من طبعها الرضوخ أمام أول تهديد تواجهه، ومن خلال نظرة خاطفة كما ادعى اقتنع بأن قوة الجزائر

---

[1] المصدر نفسه، ص.147

[2] مارس وليام شالر مهامه كقنصل بكل حرية وحظي باحترام السلطة في الأيالة واستطاع أن يفلت من بعض العادات كتقبيل يد الداي عند لقائه في المناسبات الدينية واعتبره إجراء مهينا وكان ممتنا لبلاده التي خلصته من هذه العادة، وكذلك فعلت كل من بريطانيا، فرنسا، إسبانيا فحسبه استطاعت هذه الدول أن تحرر قناصلها من هذا التقليد المهين والذي يدل على الخنوع ونرى في ذلك مبالغة منه لأن المجتمعات الغربية لها طقوس عديدة عند تحية وجهاء المجتمع منها الانحناء والتقبيل.ينظر وليام شالر، المصدر السابق، ص-ص67-68

[3] المصدر نفسه، ص.10

[4] المصدر نفسه، ص.148

[5] المصدر نفسه، ص.10

لم تكن إلا "شبحا مضحكا"لذلك تأسف أن تعليماتهم لا تسمح لهم بإنزال عقاب رادع بالجزائر، وأضاف أن ظروف عقد هذه المعاهدة تمت بصورة تحكم فيها عنصر المفاجأة، وغياب أسطول الجزائر في عرض البحر، مما اضطروا الأيالة لقبول تقريبا جميع الشروط التي أمليت عليها من طرف الولايات المتحدة ودون مناقشة، وتم توقيع المعاهدة في30 يونيو1815م...وبرز عجز الجزائريين وضعفهم.[1]

وتهكم وليام شالر على ثقة الداي المفرطة في قوة الجزائر، واعتبر أن ما كانت تلقاه الجزائر من احترام وتقدير من طرف الدول الأوروبية، جعل الداي "ينتشي بالغرور ويتعلق بكثير من الأوهام بشأن قوته الحقيقية،"واعتقد أنه يجب على كل الدول شراء رضاه وصداقته بأعلى ثمن، "على أن هذه الغشاوة من الغرور لم تلبث أن زالت على عينه"بعد أن تمكن الكمودور "ديكاتور"من الاستيلاء على سفينتين من سفنه الحربية، ووصل على رأس أسطوله إلى ميناء الجزائر، وحينها كانت جميع السفن الحربية الجزائرية تجول في عرض البحر "للقرصنة"، هذه الظروف حتمت على عمر باشا الرضوخ وقبول شروط الولايات المتحدة المنتصرة، وكان هذا بالنسبة لشالر تعقلا من عمر باشا وقدرة على فهم الخطر المحيط به من كل جانب.[2]

لكن رغم ذلك يبدو أن الداي كان متعلقا بأمل التخلص من المعاهدة المجحفة وتأديب الولايات المتحدة، فقد اتخذ عمر باشا بعد ذلك مواقف غامضة بالنسبة لشالر، إذ أبدى ميلا واضحا إلى العودة إلى الحرب،[3] وكانت بعض الأخبار تصل مسامع القنصل في ما بقي حتى نهاية السنة وفي عدة مناسبات مما لا يدع مجالا للشك، أن الأيالة تعتبر ما قام به الأسطول الأمريكي في البحر الأبيض "مجرد مسيرة للزهو والتبجح"وأن أثرها محدود، وفي حال أبدت الأيالة ما يجب من الحزم والتصميم فإنها سترغم الأمريكيين على دفع الضريبة السنوية،

[1] المصدر نفسه، ص.147، 148

[2] المصدر نفسه، ص.164

[3] المصدر نفسه، ص.164

مقابل حماية سفنهم التجارية من هجمات القراصنة، وفسر شالر موقف الداي أنه يرجع إلى الاتجاه العام لسياسة البلاد التي تعودت على الفوائد الجمة من نشاطها البحري، لا إلى سوء نية الداي، كما كان تدهور حالة الولايات المتحدة المالية وتزعزع الثقة فيها في أوروبا، وسوء تمثيل سياستها، وخطأ المعلومات التي تتعلق بمواردها، من بين العوامل التي شجعت على هذا الرأي.[1]

بعد عقد المعاهدة الجزائرية الأمريكية، وجه "ديكاتور" سفينتين حربيتين إلى ميناء قرطاجنة لمرافقة السفينتين الجزائريتين المحتجزتين هناك، ثم اتجه مع بقية أسطوله لزيارة تونس وطرابلس، لتسوية أمور أخرى مع البلدين[2] وذلك قبل رجوعه لنيويورك في 12 نوفمبر، وصدق مجلس الشيوخ الأمريكي في 21 ديسمبر 1815 على نص المعاهدة الجزائرية–الأمريكية الذي وصل للولايات المتحدة الأمريكية، والتي أملاها شالر وديكاتور، وأعلن رئيس الولايات المتحدة بعد خمسة أيام أنها أصبحت سارية المفعول، وفي 22 يناير 1816م أقلعت البارجة"جافا" من أمريكا حاملة نص المعاهدة الرسمي الذي تمت المصادقة عليه من طرف السلطات الأمريكية إلى القنصل العام شالر.[3]

3.4توتر الأجواء وضغط السلطات الجزائرية على القنصل وليام شالر: لقد كانت المعاهدة الجزائرية الأمريكية مهينة وقاسية بالنسبة للجزائريين، وزاد من سوء الموقف أن الطرف الأمريكي لم يحترمها خاصة فيما تعلق بإعادة بارجة الأميرال "مشهودة"التي ظلت محتجزة في قرطاجنة وكان الداي كل مرة يطالب القنصل شالر ويذكره بوجوب وفاء بلده ببنود المعاهدة لكن دون فائدة، فأبلغه رسميا في شهر نوفمبر أنه إذا لم ترجع الولايات

[1] المصدر نفسه، 149، 150، 164

[2] أكد شالر أن الأسطول الأمريكي بقيادة الكمودور"ديكاتور"قد أرغم حكومتي الأيالتين تونس وطرابلس على أن تدفع كل واحدة منهما إليه مبالغ مقابل عدد من السفن الأمريكية التي احتجزها الأسطول البريطاني ووضعها في مينائها، مناقضا بذلك لما نصت عليه المعاهدات التي تربط البلدين بالولايات المتحدة، وأضاف فرحا بإنجازات بلاده أن هذا الدرس أحدث أثرا بالغا في دول البربر لم يكن له مثيل منذ ظهور قرصنتهم إلى الوجود.ينظر: وليام شالر، ص.148

[3] المصدر نفسه، ص.10

المتحدة البارجة "مشهودة" في أقرب فرصة فسيعتبر المعاهدة ملغاة، واستمر التوتر سائدا بين الطرفين، حتى شهر مارس أين تم إرجاع السفينة إلى الداي، لكن الإجراء المتأخر لم يخفف من غضب وعدم رضا الطرف الجزائري، الذي كان ينتظر الفرصة المناسبة لإلغاء المعاهدة.[1] ومن جهته وليام شالر اعتبر أن الداي كان واقعا تحت تأثير أعداء الولايات المتحدة، وقد اتخذ من تراخي الولايات المتحدة في إرجاع السفينة التي تم أسرها قبل توقيع المعاهدة مجرد حجة، لذا صرح بأن الولايات المتحدة قد خرقت هذه المعاهدة، ومع ذلك فإن الداي كان على علم أن تلك السفينة التي كانت راسية في قرطاجنة(إسبانيا) قد احتجزتها الحكومة الإسبانية بحجة أنه تم أسرها في مياهها الإقليمية.[2]

توتر القنصل وليام شالر من تصريح الداي فاغتنم فرصة وصول قطع من الأسطول الأمريكي إلى الجزائر، بقيادة الأميرال"شاو" والتجأ إلى بارجة الأميرال، وأشار أنه عقد هناك اتفاقا شفهيا مع حكومة الجزائر، مفاده بأن المسائل موضوع النزاع يرجع حلها للحكومة الأمريكية، وعلى الداي إرسال رسالة مختومة يحررها بنفسه إلى رئيس الولايات المتحدة، وبأن تبقى المعاهدة سارية المفعول حتى وصول رد الرئيس الأمريكي، وعلى حد تعبير شالر أنه بموجب هذه الاتفاقية نزل إلى البر وعاد إلى القنصلية لاستئناف عمله،[3] وأضافت مقدمة المترجم أن شالر أنزل العلم الأمريكي من أعلى قنصليته ووضع الطرف الأمريكي على متن الأسطول خطة لقصف مدينة الجزائر رغم وجود معاهدة رسمية أملاها بنفسه لم يمض على توقيعها إلا بضعة أشهر، وكانت نية الأمريكيين أخذ مدينة الجزائر على حين غفلة دون إعلان الحرب وفي جنح الليل، حتى يكون حجم الدمار والخراب كبيرا، ولكن

[1] المصدر نفسه، ص.11

[2] المصدر نفسه، ص.152

[3] وليام شالر، ص.152

بارجة فرنسية علمت بالمؤامرة المدبرة، وأسرعت في إيصال الخبر للداي وأبلغته مضمون الخطة، وهكذا انكشف أمر مكيدة الولايات المتحدة الأمريكية، واستعدت المدفعية الجزائرية، ففقد التخطيط الأمريكي عوامل نجاحه.[1]

ونتيجة النية العدوانية الأمريكية والتباطؤ في إرجاع السفينة الحربية المحتجزة، تراجع الداي عن مبادلة أمريكا التصديق على المعاهدة، وفي 16 أبريل 1816أعلن أنه لا يعتبر المعاهدة ملزمة له، رغم أنه يلتزم على كل حال بالمادة التي تفرض مهلة ثلاثة أشهر للتفكير قبل استئناف الحرب، وكتب الداي إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق القنصل وليام شالر رسالة مختومة،[2] يعرض عليه فيها الصعوبات الموجودة، ويقترح لإعادة بناء العلاقات الجزائرية الأمريكية بشكل أحسن العودة إلى معاهدة عام 1795م، مؤكدا على أن الولايات المتحدة قد خرقت مادة من مواد معاهدة السلام التي وقعت بينهما بسبب عدم إعادة أحد السفن الحربية التي تم أسرها سابقا من طرف الولايات المتحدة، ولهذا الاعتبار يتحتم عقد معاهدة جديدة، وانتظر الداي الإجابة من طرف رئيس الولايات المتحدة.[3]

ووصلت الرسالة لرئيس الولايات المتحدة التي وجهها إليه الداي، وتلقى الداي في شهر أكتوبر رسالة من رئيس الولايات المتحدة مؤرخة في 21أغسطس كانت صارمة ومن بين ما تضمنته أنها قللت من شأن عدم إرجاع السفينة وجعلته حادثا عابرا تسببت فيه إسبانيا ومع ذلك تم إرجاعها، واتهمت الداي بالمبالغة ووصفت رسالته الأخيرة على أنها تتضمن تهديدات، وأكد رئيس الولايات المتحدة أن: "الولايات المتحدة التي لا ترغب في الدخول في حرب مع أية أمة، سوف لا تشتري السلام مع ذلك أبدا، إن هذا مبدأ أساسي من مبادئنا

[1] المصدر نفسه، ص.11

[2] أشار شالر أن الداي عمر عندما فكر في توجيه رسالة إلى رئيس الولايات المتحدة سأله عن مدى فهم اللغة التركية هناك، فأجابه أنها على الأرجح غير مفهومة، ولكن يوجد من يفهم اللغة العربية، فكتب الداي الرسالة بلغته التركية لقناعته أنها لغته ومع ذلك أمر بوضع ترجمة عربية لرسالته تسهيلا للتفاهم مع حكومة الولايات المتحدة، ويبدو أن شالر ذكر هذه المعلومات في إطار إعجابه بشخصية الداي عمر الذي كان يعتبره راجح العقل وذا إدراك سريع ونبيل الشخصية.ينظر: وليام شالر، ص.161

[3] ينظر نص الرسالة الملحق د: رسالة داي الجزائر إلى رئيس الولايات المتحدة، مذكرات وليام شالر، ص-ص.285-287

السياسية، والسلام أفضل من الحرب ولكننا نفضل الحرب على دفع ضريبة."، واحتج فيها على اتهام بلده بنكث العهود، وتم تعيين القنصل شالر والكمودور إسحاق شونسيي (I.CHauncey) القائد الأعلى للقوات البحرية الأمريكية في البحر المتوسط، مفاوضين بالنيابة عنه مع الحكومة الجزائرية، وذلك بالاعتراف وتنفيذ المعاهدة الأخيرة التي عقدت بين الطرفين، أي تجديد معاهدة السلام وتسوية الخلافات العالقة بين البلدين،[1] لكن يبدو حسب بعض الباحثين أن هذه الرسالة لم تكن إلا مناورة أمريكية لتهدئة الأمور، إذ اتضح أن هناك رسالة أخرى أرسلها نفس الرئيس "ماديصون"إلى وزير خارجيته"مونرو" في 25 يونيو أي قبل رسالته إلى الداي بأقل من شهرين، تضمنت عزم الولايات المتحدة الأمريكية على الحفاظ على المعاهدة كما هي دون تقديم أي ترضيات من أي نوع كان، فرغم ميل الولايات المتحدة للسلم إلا أنها أيضا مستعدة للحرب، ولن تسمح بإدخال أي تعديل على نصوص المعاهدة الأخيرة، وهذه الأمور يجب على الداي فهمها بوضوح، وأوضحت الرسالة المبعوثة من طرف الرئيس الأمريكي إلى وزير خارجيته، سياسة أمريكا وموقفها بوضوح وتصميمها على عدم إدخال أي تعديل على المعاهدة، لذلك لم يكن واضحا لماذا أثارت رسالة الرئيس الأمريكي للداي قضية المفاوضات وتحديد المفاوضين، وانتهى الأمر حسب شالر بكل سهولة فبعد كل الأحداث التي شهدتها الجزائر وما خلفته حملة اللورد "إكسموث" من خسائر على الجزائر، لم يكن من المنتظر أن تواجه الولايات المتحدة أي صعوبات في المفاوضات، وتم التوقيع على معاهدة أملى الطرف الأمريكي شروطها على الجزائر، في 23 ديسمبر 1816[2] كما سنشير إلى ذلك لاحقا.

وحملة اللورد "إكسموث" التي تمت الإشارة إليها تعرضت لها الجزائر أواخر شهر أغسطس 1816م ووصفت بالحملة البحرية الخطيرة، اشترك فيها الأسطولان البريطاني والهولندي، تحت قيادة اللورد "إكسموث"، وتم قصف

[1] ينظر نص الرسالة في ملاحق مذكرات شالر، الملحق ز من رئيس الولايات المتحدة إلى داي الجزائر، مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص-ص313-315

[2] المصدر نفسه، ص-ص11-12، 159

مدينة الجزائر وانتهت بخسائر فادحة للجزائريين إذ تم تدمير تحصينات المدينة وإحراق معظم قطع الأسطول الجزائري، وكان هذا في صالح الطرف الأمريكي وأوروبا على وجه العموم، وقد كان القنصل شالر حاضرا ووصف الحادثة بدقة، وكلفت هذه الحملة الجزائر بالإضافة للخسائر المادية انتكاسة على المستوى السياسي والعسكري، إذ قبل الداي جميع مطالب "إكسموث" والتي من بينها إطلاق سراح نحو ألف ومائتين من الأسرى المسيحيين دون فدية، وإعادة أموال الفدية التي دفعتها قبلا دول تحت حماية بريطانيا.[1]

ورغم أن شالر كان شاهد عيان على حملة "إكسموث" ويعتبر من المصادر المهمة التي وصفتها، لكن عند مقارنة ما كتبه حول الحملة بمصدر محلي، سيقف الباحث على الكثير من التفاصيل المهمة التي لم يذكرها شالر ولعل أهمها خديعة الأسطول برفعه الأعلام البيضاء التي لا توحي بالحرب وإنما بالصلح،[2] هذه الخديعة يصر شالر على إنكارها حتى لما يذكره بها الداي عمر عند الزيارة الودية للأسطول الأمريكي وسنشير إلى ذلك لاحقا.

3.5 الزيارة الودية للأسطول الأمريكي أكتوبر 1816 وبوادر تجديد معاهدة الصلح: بعد حملة "إكسموث" وما ألحقته بالجزائر من خسائر، ظهر الأسطول الأمريكي في خليج الجزائر بقيادة الكمودور "شونسي" في شهر أكتوبر بعد الحملة، على رأس أسطول تكون من السفن البحرية التالية: "واشنطن"، "جاوة"، الولايات المتحدة"، "كونستليشين"، "إيرى"، "بارك كوك"، وكان بإمكان الأسطول بمكوناته المتمثلة في ست بوارج حسب شالر أن يقضي على مدينة الجزائر وتحصيناتها نهائيا، خاصة مع حالة الضعف التي كانت عليها، هذا الأسطول بعث الذعر والفزع في نفوس الجزائريين، وعندما كان شالر في طريقه للأسطول لمس مخاوف الجزائريين التي لم تكن مخفية حيث توقعوا مهاجمة المدينة، ولكن شالر طمأنهم وأكد لهم أن الأسطول الأمريكي

[1] المصدر نفسه، ص.12، 62، 149-158

[2] للوقوف على شهادة المصدر المحلي حول حملة "إكسموث" ومقارنته بما ورد عند شالر ينظر: فاتح بلعمري، "حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي"، **مجلة معارف**، مج.9، ع.17، جامعة البويرة، ديسمبر 2014، ص-ص.، 19-42

في زيارة ودية لهدف سلمي، وأن الأمريكيين كما ادعى لن يقوموا بعمل حربي دون إعلامه مسبقا بصفته قنصلا، وبعد عودته من زيارة أسطول بلاده استقبله الداي عمر، الذي يبدو أنه كان في قلق شديد، واعتبر شالر أن هذا الاستقبال يعد شرفا له، لكنه مع ذلك أبدى أسفه لعدم ثقة الجزائريين في الشرف الأمريكي، وأبلغه أنه إذا وصلت الأمور للحرب بين الجزائر والولايات المتحدة فإن الولايات المتحدة لها مبادئها التي تتصرف وفقها في الحروب، فهي محكومة على أساس مبادئ الشرف الدقيقة، وادعى شالر أن الداي أحس بخجل من لوم القنصل عليه، كما أشار أنه لم يتأكد تماما من هوية الأسطول وما إذا كانت السفن التي وصلت تابعة للأسطول الأمريكي، وتابع الداي كلامه للقنصل باعتباره شاهدا وذكره كيف كان في بعض الأحيان ضحية لبعض المظاهر، وكان قصد الداي تذكير شالر بخديعة الأسطول البريطاني الهولندي، لكن شالر تظاهر أن الأسطول البريطاني الهولندي لم يقوما بأي خديعة مؤكدا"وذلك لأن الجزائريين يتظاهرون بالاعتقاد بأنهم فوجئوا بالأسطول البريطاني الهولندي الذي كان يحمل علم الصلح وغدر بهم.[1]

وقام في اليوم الموالي الكمودور "شونسي" رفقة كبار ضباط الأسطول بزيارة مجاملة للداي الذي أبدى ارتياحه، وبناء على رأي الكمودور صعد شالر إلى بارجة الأميرال"واشنطون" لغرض التباحث والتنسيق بخصوص البرقيات المنتظر وصولها من الولايات المتحدة، ولما وصلوا إلى جبل طارق تلقوا عن طريق السفينة "ذي سبارك"الأمريكية أوراق اعتمادهم كمفوضين لتجديد معاهدة السلام مع الجزائر.[2]

3.6 تجديد معاهدة السلام بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية: تلقى شالر والكمودور شونسي أوراق اعتمادهما بصفتهما مفوضين لتجديد معاهدة السلام مع الجزائر، كما تلقيا رسالة من رئيس الولايات المتحدة، ردا على الرسالة التي بعث بها إليه الداي في 24 أبريل الماضي، ونظرا لأن المفوضين الأمريكيين كانا

[1] المصدر نفسه، ص-ص 168-169

[2] المصدر نمسه، ص.169

على اطلاع جيد بالأحوال السياسية والعسكرية المتعثرة في الجزائر فقد صمما على أن يوجها إلى الداي إنذارا مرفقا برسالة رئيس الولايات المتحدة، وتنفيذا للأمر توجها بالبارجة "واشنطون" والسفينة""سبارك"في اتجاه الجزائر إذ وصلا في 8ديسمبر1816 أما بقية قطع الأسطول فقد توجهت إلى ميناء "ماهون"(ميناء جزر البليار)ونظرا للاضطرابات الجوية وخطر الرسو في خليج الجزائر، فقد نزل شالر وحده إلى البر وتعهد بتسيير المفاوضات وإنهاء كل شيء وحده وجها لوجه مع الداي حسب المتفق عليه، وفي 17 من الشهر بدأت المفاوضات بين كل من الداي عمر والقنصل شالر، إذ سلم له شالر رسالة رئيس الولايات المتحدة ومذكرة المفاوضين، والتزم الداي عمر بالمجاملة واللياقة، وبذل أيضا مجهودا حسب شالر إلى عدم تجديد المعاهدة الجزائرية الأمريكية وعدم الخضوع للشروط الأمريكية، واشتكى من الوقت الذي استغرقه رئيس الولايات المتحدة للرد على رسالته، وقام بحساب ما مضى من الشهور على أصابعه، وطالب بمنحه مهلة مماثلة للتفكير،[1] ولكن قوبل طلبه بالرفض.[2]

وأكد شالر أن الداي ترجاه وناشده متوسما فيه الشرف وذكره أنه شاهد على الكوارث التي مرت بها الأيالة في هذه الفترة والتي وضعته تحت رحمة الولايات المتحدة، وأن على هذه الأخيرة أن لا تستغل الفرصة والعثرات، ولكن شالر رد عليه بأنه مهما كان سيتعاطف معه إلا أنه مع زميله المفاوض لا يمكن أن يحيدا عن تعليمات رئيس الولايات المتحدة، وأنهما سيتصرفان على أساسها، لأن الحياد عنها يعني عصيان للأوامر الرسمية، وأضاف أن هذه التعليمات قد حررت كما دل على ذلك التاريخ الذي تحمله في وقت لم تكن فيه هذه الكوارث التي حلت بالجزائر قد عرفت في الولايات المتحدة الأمريكية، وأمام إصرار شالر على موقفه وعدم الخضوع لمطالب الداي بات الخضوع للشروط الأمريكية لا مفر منه، وقال شالر أن الداي خاطبه:"أن الكوارث حرمته من وسائل المقاومة، وأنه يوافق على تجديد المعاهدة بالشروط التي اقترحها، أو غيرها من الشروط التي يحلو لي أن أمليها،

[1] المصدر نفسه، ص-ص. 170-171

[2] دينظر الملحق: مذكرة القنصل الأمريكي، مذكرات وليام شالر، ص.321

وذلك بشرط أن أقدم إليه شهادة مكتوبة بيدي ومختومة بختمي تثبت أنني أرغمت إرادته."[1]وأجاب شالر أن الشروط التي اقترحها بأمر من رئيس الولايات المتحدة هي شروط معقولة، وهي الشروط التي تقترح في جميع الظروف، وأنه سيمنحه دون تردد الشهادة التي يطلبها، وبهذا تم عقد معاهدة السلام ووقعت في يوم 23 ديسمبر1816م .[2]

لقد كان تجديد معاهدة السلام بين الجزائر والولايات المتحدة في ظروف خاصة، وأقل ما يقال عن هذه الظروف أنها كانت ضد الأيالة ولم يملك الداي فيها أي خيار فقد كان مكتوف الأيدي أمامها، أما بالنسبة للطرف الأمريكي فخلال المشاورات التي جمعت القنصل شالر وشونسي ، ادعى الاثنان أنهما تم تعيينهما للتفاوض من أجل إعادة إقرار السلام بين البلدين، وأن مطالب السلطات الجزائرية ليست شرعية لأن الولايات المتحدة قد التزمت بإرجاع السفينتين اللتين استولى عليهما الأسطول الأمريكي قبل يونيو 1815، وأن الحكومة الأمريكية وفت بعدها الذي قطعته على نفسها بأمانة، وبالتالي اقترح المفاوضان(وليام شالر وشونسي)على الداي تجديد معاهدة السلام على الأسس التالية: 1-تجديد معاهدة السلام التي عقدت في يونيو 1815م بنفس الصيغة والمضمون والتي اتفق عليها مع سلطات الأيالة القنصل العام والكمودور ديكاتور...وتم اقتراح تعديل المادة 18 في المعاهدة دون مقابل وذلك بإضافة المادة التالية ...."توافق الولايات على إلغاء المادة 18 من المعاهدة التي تمنح الولايات المتحدة في موانئ الجزائر امتيازات تفوق امتيازات الدول الأكثر رعاية التي ترتبط بمعاهدات مع الأيالة" وكان إلغاء هته المادة مبني على رغبة الولايات المتحدة في أن تقدم للداي الدليل على سعيها للسلام والمحافظة عليه، وتأكيد العلاقات الودية التي تربط البلدين، أما الأساس الثاني: فهو الذي تعلق بوجود نص في ترجمة هذه المعاهدة يلزم الولايات المتحدة بدفع هدايا قنصلية للأيالة، فقد رفض المفاوضان بكل

[1] المصدر نفسه، ص.171

[2] المصدر نفسه، ص.171، 172

وضوح وبصورة رسمية، بأن الولايات المتحدة لن توافق على أية مادة تنص على أنها ستدفع للأيالة أو لأعوانها هدايا في أي مناسبة كانت، والولايات المتحدة ملتزمة بشروط المعاهدة والتقيد بها، وتترك للأيالة الخيار بين السلام والحرب، والولايات المتحدة "التي ترغب في أحد الأمرين مستعدة للقيام بالأمر الآخر، ولكي يسهل فهم محتوى المذكرة، أرفقت بترجمة دقيقة لها باللغة العربية، وطلب من الداي الرد عليها كتابة باللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الاسبانية أو الإيطالية، أو بواسطة قنصل أجنبي يصرح له بضمان الدقة في الترجمة، وتم التوقيع بواسطة وليام شالر وشونسي، على متن البارجة واشنطن خليج الجزائر 9 ديسمبر 1816.[1]

لقد أدار القنصل شالر المفاوضات الجديدة وهو في مركز قوة كبيرة، وأسفر اللقاء على توجيه الطرف الأمريكي إنذارا للداي منكرا فيه إلغاء المعاهدة القديمة، كما أنكر نصا في النسخة الجزائرية من المعاهدة فرض على الولايات المتحدة تقديم هدايا قنصلية للداي، مثل غيرها من الدول، والغريب في الأمر هنا أن وزير الخارجية قد سمح صراحة في توجيهاته للمفاوضين الأمريكيين بقبول هذا الشرط كنوع من المجاملات، وتضمن الإنذار مطالبة الجزائر بامتيازات أخرى،[2]وهنا نتأكد أن وليام شالر قد ساهم في إدارة المفاوضات بطريقة سلبية على الجزائر.

وهكذا انتهت في 22 ديسمبر مهزلة المفاوضات كما وصفها مترجم المذكرات إسماعيل العربي، وفي شهر يناير 1817م أرسل شالر نص المعاهدة التي تم تجديدها إلى حكومة بلاده، ولكن نتيجة السهو أهمل مجلس الشيوخ التصديق على المعاهدة حتى عام 1822م، وأعلن بعد هذا التاريخ أن المعاهدة أصبحت سارية المفعول.[3]

[1] ينظر الملحق:"المفاوضون الأمريكيون في الجزائر"، وليام شالر، المصدر السابق، ص-ص317-318

[2] المصدر نفسه، ص.13

[3] المصدر نفسه، ص-ص.13-14

لقد استطاعت الولايات المتحدة أن تكون واحدة من الدول القليلة، التي عقدت معاهدة منفصلة مع الجزائر لا تدفع في مقابلها أي مبلغ من المال على سبيل الضريبة كما فعل غيرها، وهذا كان يعد أمرا كبيرا حينها،[1] وأكد شالر أن بلاده لم تشتر رضا الجزائر بالضريبة والهدايا التي لا تنتهي، بل أجبرت الدول "البربرية" على احترام علمها في البحر،[2] وأن وجود "القرصنة"اضطر الولايات المتحدة إلى الاحتفاظ بقاعدة في البحر الأبيض المتوسط لحماية شرف البلد ومصالحه، وكان الأمر ذا فائدة كبيرة لزيادة قوة الأسطول الأمريكي.[3]

في آخر هذه الدراسة نستطيع تأكيد أن مذكرات شالر رصدت ملامح العلاقة بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية في فترة حساسة، سجل التاريخ فيها تراجع قوة الأيالة على المستوى السياسي والعسكري، فسارت الأمور لصالح القوة الصاعدة الحديثة الولايات المتحدة، لكن ومع أهمية المذكرات يجب على الباحث أن لا يكتفي بها بل يطلع على غيرها من المصادر خاصة المحلية.

-تأرجحت العلاقات الجزائرية بالولايات المتحدة بين السلام والعداء وتحكمت في ذلك عدة ظروف خاصة بالطرفين، وسارت الأمور في البداية لصالح الأيالة التي استطاعت إرغام الولايات المتحدة على احترام شروطها وهيبتها في البحر الأبيض المتوسط، لكن يبدو أن إعلان الجزائر الحرب على الولايات المتحدة عام 1812 لم تكن خطوة موفقة وكلفت الجزائر عدة خسائر لاحقا.

-فقدت الجزائر مركز القوة الذي كانت تحتله خلال مفاوضاتها مع الولايات المتحدة وأجبرت على شروط معاهدة الصلح لعام 1815م، ثم على تجديد المعاهدة أواخر 1816م، وهذا راجع لعوامل القوة التي كانت تتمتع بها الولايات المتحدة، ومرحلة الضعف السياسي والعسكري الذي كانت تعيشه أيالة الجزائر.

[1] المصدر نفسه، ص.64

[2] المصدر نفسه، ص.183

[3] المصدر نفسه، ص.185، 186

-حاولت الأيالة الجزائرية جاهدة التخلص من معاهدة الصلح غير المرغوب فيها والتي أفقدتها كل امتيازاتها المعهودة مع الولايات المتحدة، لكن دون جدوى.

-خاضت الولايات المتحدة مفاوضاتها مع الجزائر في القرن التاسع عشر وهي في مركز قوة، لذلك لم ترضخ لأي شرط من شروط الجزائر، وهذا طبيعي في العلاقات بين البلدان فالقوي والمنتصر هو الذي يملي شروط الصلح والسلم.

-أصرت الولايات المتحدة خلال مفاوضاتها مع الجزائر بقيادة القنصل شالر ومرافقيه، أن لا تدفع أي شكل من أشكال الضريبة، والتزمت بشعار أساسي في علاقتها مع الجزائر تمثل في: "السلام أفضل من الحرب، ولكن الحرب أفضل من دفع الضريبة."

-رغم تجديد معاهدة الصلح بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية أواخر 1816، إلا أن الوضع بقي على حاله ولم تتغير الأمور، وساهمت الظروف السياسية والعسكرية الصعبة للأيالة في تدهور مكانتها، فتم فرض بنود المعاهدة فرضا على الداي عمر حتى أنه أكد ذلك من خلال طلبه شهادة مكتوبة ومختومة من طرف القنصل وليام شالر، تثبت أن المعاهدة تمت رغما عن إرادته.

-شهدت أيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني تراجعا كبيرا لأسطولها الذي أنهكته الحروب مع عدة دول أوروبية، كما ألحقت به الحملة المشتركة بين الأسطول البريطاني والهولندي حملة "إكسنوث" 1816م دمارا كبيرا ساهم في القضاء على سمعته الدولية.

-أدار المفاوضون الأمريكيون وعلى رأسهم وليام شالر المفاوضات، وكان لهذا الأخير دور مهم في سير الأحداث خاصة وأنه شغل منصب القنصل الأمريكي في الجزائر، ويبدو أنه كان صارما ومتصلبا لمصلحة بلاده ولم يبد أي مرونة سياسية لصالح الأيالة.

الخاتمة:

-تعتبر المصادر على اختلاف أنواعها وأشكالها أساس الدراسة التاريخية، وإذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها، ولا يمكن لأي باحث الخوض في غمار البحث دون مصادر فهي منطلقه الأول وأساس بحثه، وتأتي في المرتبة الثانية المراجع، التي هي مؤلفات كتبت بالاعتماد على المصادر، وهي أيضا يحتاجها الباحث، لأن البحث هو عملية تراكمية من المعارف، لكن على الباحث التقصي والتدقيق والتمحيص واتستقراء المصادر والاستعانة بالمراجع في أي بحث يقوم به.

-تمتاز مصادر تاريخ الجزائر الحديث بالتنوع والثراء، فهناك المصادر المحلية والأجنبية، وهي تغطي الفترة التاريخية الممتدة من السنوات الأولى للقرن السادس عشر، والتي تمثل بداية التواجد العثماني في الجزائر، وتمتد إلى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، وكل مصدر يقدم مادة تاريخية للباحثين والمصادر بنوعيها المحلية منها والأجنبية هي مادة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها أبدا في الكتابة التاريخية.

-تأتي الوثائق الأرشيفية العثمانية على رأس قائمة مصادر تاريخ الجزائر الحديث، وقد تكونت نتيجة مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لحكام أيالة الجزائر وموظفي البايلك، قسم مهم منها موجود بالأرشيفات الجزائرية سواء الأرشيف الوطني بالجزائر العاصمة أو الأرشيفات المحلية مثل أرشيف وهران وقسنطينة، والقسم الآخر من الوثائق محفوظ بالأرشيفات الأجنبية العربية والأوروبية مثل الموجود بأسطنبول، أرشيفات محفوظات ما وراء البحار بآكس آن بروفانس، الأرشيف الوطني الفرنسي، أرشيف وزارة الحربية بفنسان(باريس)والغرفة التجارية بمرسيليا، دار الباي بتونس، عابدين بالقاهرة والخزانة الملكية بالرباط، أرشيف إسبانيا...كل الوثائق الأرشيفية تحمل مادة علمية تاريخية ثمينة ذات مصداقية عالية، والرجوع إليها يثمن البحث ويزيد من مصداقيته.

-هناك عدد كبير من المصادر المحلية التي اهتمت بتاريخ الجزائر الحديث، منها مازال على شكل مخطوطات، ومنها الذي طبع على شكل كتب بعد دراسته وتحقيقه من طرف المختصين، وهذه المصادر منها ما كتبه الجزائريون أو العرب ممن زار الجزائر، وشكلت كتب الرحلات قسما هاما من المصادر المحلية، كما لا ننسى الشعر، والمذكرات، وبعض المؤلفات...ورغم غلبة الطابع الأدبي عليها وتركيزها على جوانب معينة دون الأخرى، إلا أنها تحمل مادة علمية حول تاريخ الجزائر لا يمكن للباحثين تجاوزها.

-تحتل المصادر الأجنبية مكانة هامة بين مصادر تاريخ الجزائر الحديث، وهي بدورها كثيرة ومتنوعة، ومختلفة من حيث جنسيات أصحابها ومستواهم الفكري، وطريقة دخولهم لأيالة الجزائر، فمنهم الرحالة، التجار، العلماء، رجال الدين من رهبان وقساوسة، الأسرى، القناصل ومبعوثو الدول الأوروبية، الضباط العسكريون، الجواسيس...أما جنسيات أصحابها فمنهم الفرنسي، الإسباني، البرتغالي، الأمريكي...وغيرها، هذه المصادر الأجنبية رصدت جوانب مختلفة من حياة الأيالة الجزائرية في الجانب السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، واحتوت على تفاصيل متنوعة ومعلومات دقيقة، بل بعضها احتوى على معلومات فريدة من نوعها وبدد الظلام المعرفي عن سنوات من عمر الأيالة، لكن رغم ذلك يجب أن لا يغفل الباحث عن ما تحتويه من حقد وتشويه مقصود ونظرة التعالي والمبالغة والدسائس حول الجزائر وشعبها وحكومتها، فتحتاج إلى الحذر والتمحيص، والفصل بين الحقائق التاريخية الموجودة بها وبين ذاتية المؤلف الذي يكون مدفوعا بحقده الصليبي ونزعته الاستعمارية، على تشويه سمعة تاريخ الجزائر الحديث، فيقف الباحث موقف المحايد والذكي في غربلة محتوى المصادر الأجنبية المختلفة.

-يجب على الباحث في تاريخ الجزائر الحديث أن يرجع أولا للمادة الأرشيفية، ثم للمصادر المحلية والأجنبية، كي يستطيع الحصول على نظرة حقيقية حول تاريخ الجزائر العثمانية.

-يمكن للباحث في تاريخ الجزائر الحديث الحصول على المصادر في دو الأرشيف داخل الجزائر وخارجها، في المكتبات العامة والخاصة، مكتبات الزوايا، المساجد، عند العائلات...كما يمكن له الاستفادة من المواقع والمكتبات الالكترونية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ باللغة العربية والمعربة:

1الكتب المطبوعة:

- حماش خليفة، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2012

2000

-الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ./1754-1830 م، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974

-الشيخ عبد الرحمان عبد الله، المدخل إلى علم التاريخ، ط.2، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،2000

-الصباغ ليلى، دراسة في منهجية البحث التاريخي، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1979

-الطويل السيد رزق، مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، دار الهدى للطباعة، مصر، 1988

-المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والسيادة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

-الناصري سيد أحمد علي، فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه، دار النهضة العربية، بيروت

-بدر أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط.5، دار المعارف، 1989

-بن عميرة محمد، منهجية البحث التاريخي، ط.2، دار هومة، الجزائر، 2014

-حامد خالد، منهج البحث العلمي، ط.1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2003، الجزائر

-حجاب محمد منير، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، ط.3، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000

-حيدر كامل، منهج البحث الأثري والتاريخي، ط.1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995

-خضر عبد الفتاح، أزمة البحث في العالم العربي، ط.3، مكتب صلاح الحجيلان، المملكة العربية السعودية، 1992

-درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2007

-رستم أسد، مصطلح التاريخ، ط.1، مركز تراث للبحوث والدراسات، مصر، 2014

-زرواتي رشيد، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط.1، دار هومة، الجزائر، 2002

-سالم السيد عبد العزيز، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر

-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.2عالم المعرفة، الجزائر، 2011

-سعيدوني ناصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، در القصبة للنشر، الجزائر، الجزائر، 2000

-سيد أيمن فؤاد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط.1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997

-شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

-عثمان حسن، منهج البحث التاريخي، ط.7، دار المعارف، القاهرة، 1996

-عميراوي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني مذكرات تيدنا أنموذجا، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003

-عميرة عبد الرحمان، أضواء على البحث والمصادر، ط.3، عكاظ للنشر والتوزيع، 1981

-عوفي عبد الكريم ، صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر من 1245 هـ /1830 م إلى 1431 هـ/2010 م، منشورات المجلس، الجزائر، 2017

-كاثكارت جيمس، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

-مزيان عمر محمد، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ط.4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983

-هايدو فلراي ديغو، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2013

-ولسن ستيفن جيمس، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1797، ترجمة: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، 2007

- دبّوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340 هـ./1921 م.إلى عام 1395 هـ./1975 م.، ج.2، عالم المعرفة، الجزائر

- بن بالحاج شريفي سعيد (الشيخ عدون)، معهد الحياة نشأته وتطوره، تقديم محمد صالح ناصر، ط.2، نشر جمعية الحياة وجمعية التراث، القرارة-غرداية، الجزائر، 2009

-يزبك قاسم، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط.1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990

- قبيسي محمد، علم التوثيق والتقنية الحديثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1991

-الخولي جمال، الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993

2الدوريات:

-أوجرتني محمد، "واقع الشعر السياسي الجزائري وقضاياه في عهد الحكم التركي"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع.18، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، سبتمبر 2015م

- باباو إسماعيل زهير، "فهارس مخطوطات مكتبات وادي مزاب وقراءة وصفية لمحتوياتها"، التراث، مج.5، ع.4، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 15 ديسمبر 2015م

- بحوصي رقية، "علم الأرشيف أو الأرشفستيك مفهومه ونشأته وتطوره"، عصور، مج.15، ع.1، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 30جوان 2016، ص-ص.340-341

-بركاني عبد الباقي، "الأرشيف الجزائري المحفوظ في دور الأرشيف الوطني التونسي ودوره في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة بيليوفيليا لدراسات المكتبات والمعلومات، مج.3، ع.1، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، 2021

-بقادي مسعود، "دور الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية من خلال كتابات الدكتور عبد الجليل التميمي"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج.3، ع.1، جامعة الوادي، الجزائر، 24 جانفي، 2017

-بلحميسي مولاي، موقف الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988

-بلعمري فاتح، "حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي"، مجلة معارف، مج.9، ع.17، جامعة البويرة، ديسمبر 2014

-بوزيد صليحة، أهمية وثائق الأوقاف بسجلات المحاكم الشرعية في كتابة تاريخ الجزائر العثماني مدينة الجزائر أنموذجا"، مج.16، ع.2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1ديسمبر 2015

-بوشنافي محمد، "الوثائق العثمانية وأهميتها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني"، مجلة مواقف، مج.6، ع.1، جامعة معسكر، الجزائر، 31ديسمبر 2011

-بوشنافي محمد، "مصادر دراسة التاريخ العسكري لأيالة الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج.9، ع.12، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، 15 جوان 2005

-تابليت علي، "معاهدة السلام والصداقة بين الجزائر والولايات المتحدة سنة 1795"، حوليات جامعة الجزائر، مج.4، ع.1، جامعة الجزائر، 01 جويلية 1989

-تابليت علي، "من أبطال البحرية الجزائرية 1770-1815"، المصادر، مج.16، ع.1، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام 1954، الجزائر، 30 جوان 2017

- بن جبور محمد، "البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني"، عصور، جامعة وهران، مج.7، ع.2، 2009-2008

-رفاف شهرزاد، "التراث اللامادي العثماني في الجزائر دراسة تاريخية أنثروبولوجية"، حوليات جامعة الجزائر 1، مج.34، ع.5، جامعة الجزائر 2020

- بن سعيدان محمد، "الأسطول البحري ودوره في أيالة الجزائر خلال القرن 11 هـ 17 م"، الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، مج.8، ع.2، ديسمبر 2017

- زينوني حمزة إسحاق، "تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع.9، جامعة المسيلة، سبتمبر، 2018

- سعيدوني ناصر الدين، "نظرة في المناهج الجامعية والمؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، مقال مستخرج من كتاب: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988

-سعيدوني ناصر الدين، "مكانة مصادر الأرشيف الجزائري في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، مج.3، ع.2، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1988

-سعيود إبراهيم، "تأثير الوجود العثماني في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية"، مجلة الدراسات التاريخية، مج.16، ع.2، جامعة الجزائر 2، 1 ديسمبر 2015

-شقرون الجيلالي، "اتفاقية السلام والصداقة الأمريكية الجزائرية الأولى 05 سبتمبر 1795"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج.2، ع.1، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 01 جوان 2010

-بن قويدر سامية، "مظاهر التأثير الحضاري العثماني على عمارة مدينة الجزائر"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج.14، ع.5، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 31 ديسمبر 2022

- عليليش حبيبة، "الأرشيف الوطني الجزائري مصدر فريد لدراسة تاريخ الجزائر إبان الفترة العثمانية"، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج.14، ع.1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 1 نوفمبر 2018

-غطاس عائشة، "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، ع.5، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988

-قرباش بلقاسم، "دور الكتابات الغربية في تشويه تاريخ الجزائر العثماني"، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، مج.2، ع.1، ماي 2014

-قوميد فتيحة، "مصطلح"الأرشيف"في بعض معاجم المصطلحات الأرشيفية العربية"، مجلة الحضارة الإسلامية، مج.15، ع.2، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 21 مارس2014.

-مرزقلال إبراهيم وفتحي عباس، "استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في البحث التاريخي وطرق توثيقها"، مستخرج من كتاب: تقنيات البحث التاريخي، ط.1، نواصري للطباعة والنشر، المسيلة، الجزائر، 2022

-مزين محمد، "المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول والقرنان 16 و17م"، مجلة الدراسات التاريخية، ع.9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995

-معوشي آمال ،"صورة الأسطول والبحارة الجزائريين خلال العهد العثماني من خلال مصادر أجنبية"، مجلة البحوث التاريخية، مج.6، ع.2، جامعة المسيلة، الجزائر، 31 ديسمبر 2022

-ناير مختار، "أهمية الأرشيف العثماني بالجزائر في الكتابات التاريخية"، المرآة للدراسات المغاربية، مج.3، ع.1، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، جوان 2017

3رسائل الماجستير والدكتوراه ومذكرات الماستر:

-بلعمري فاتح، الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2017-2016

-بن جميل رميساء، المعادي عفاف، الأساليب الحديثة لتسيير الأرشيف الولائي: نحو إعداد خطة نموذجية لرقمنة أرشيف ولاية قالمة، مذكرة ماستر، تخصص علم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات وعلم المكتبات جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2019-2020.

-ختير فوزية فاطمة، الأرشيف ومهنة الأرشيفي في الجزائر دراسة ميدانية في الغرب الجزائري، رسالة دكتوراه في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة بن بلة، وهران، 2015

-خشمون حفيظة، المهمة السياسية والعلمية الفرنسية بالجزائر في القرن 18 من خلال نماذج: "لوجي دو طاسي، فونتير دو بارادي، بايصونال وديفونتين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، 2020-2021

-درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين 10 هـ-13 هـ/16م -19 م بين التأثير والتأثر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أحمد ةبن بلة، الجزائر، 2015-2014

4الموسوعات والقواميس:

- خليفة شعبان عبد العزيز، المعجم الموسوعي في مصطلحات المكتبات والمعلومات، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999

- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

- علي ميلاد سلوى، قاموس مصطلحات الوثائق الأرشيفية عربي-فرنسي-إنجليزي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1982

المواقع الالكترونية:

- جاسر أبو حنيفة، "أهمية البرديات في كتابة التاريخ الإسلامي"، محاضرة ألقيت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1420هـ/2000م Noor-Book.com3أهمية البرديات في كتابة التاريخ الإسلامي PDFتم الاطلاع عليه بتاريخ: 20 أكتوبر 2024

-وليام شالر(Willim Shaler): https://arz.wikipedia.org/wiki/ اطلع عليه بتاريخ 15 أفريل 2024

-بودفلة فتحي، دراسات وبحوث تاريخية: قراءة في كتاب وليام شالر: http://histoiralgerie.blogspot.com/2010/12/2.htmlبتاريخ: 15 أفريل 2024

-غاليكا https://ar.wikipedia.org/wiki/

ثانيا/ باللغة الفرنسية:

-(F)Braudel, la Méditerranée et le monde Méditerranéen a l'époque de Philippe 2, éd. Armand colin, Paris, 1987

-Albert Devoulx, le Rais Hamidou notice biographique, typographie Adolph Jourdan, Alger, 1859

-Belhamissi Moullay, marine et marins d'Alger 1518-1830 navires et les hommes.1, bibliothèque nationale d'Algérie, Alger, 1996

-Roland Courtinat, la piraterie barbaresque en méditerranée XVIe XIXe siècle(2000), 2003

- Venture De Paradis, ALGER AU xvii siècles, Adolphe Jourdan, Alger, 1898.

-Haedo Fray Diego, topographie histoire générale d'Alger, traduit de l'espagnol par MM.le Dr. Monnereau et A. Berbrugger 1870, Alger, 1870.

-HaedoFray Diego, histoire des rois d'Alger, traduit et annotée par H. D. De. Grammont, Adolphe Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1881.

-Laugier De Tassy, histoire du royaume d'Alger, Henri du Sauzet, Amsterdam.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	2-1
المحاضرة الأولى/ تعريف المصدر والمرجع وأنواعهما	3
المحاضرة الثانية/ أهمية المصادر والمراجع في دراسة التاريخ	21
المحاضرة الثالثة/ أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية	28
المحاضرة الرابعة/ أنواع مصادر تاريخ الجزائر العثمانية	31
المحاضرة الخامسة/ أنواع مصادر تاريخ الجزائر الفترة العثمانية (تابع)	47
المحاضرة السادسة/ أنواع مصادر تاريخ الجزائر الفترة العثمانية (تابع)	66
المحاضرة السابعة/ تحديد أماكن وجود مصادر تاريخ الجزائر الحديث	83
المحاضرة الثامنة/ دراسة بعض مصادر تاريخ الجزائر الحديث وتحليلها ونقدها(مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م أنموذجا)	95
الخاتمة	129
قائمة المصادر والمراجع	132
فهرس الموضوعات	141